د. هدى عبد الحليم
رواية
Blue Flash
وميض أزرق

إهداء

إلى..

عبارات لم أستطع أن أبوح بها.. وأفكار لم تبرح خيالي.

إلى..

عملي الذي لم أكتبه بعد..

يومًا ما سنتلقي وسأهديك إليّ فلقد انتظرتك طويلًا.

هدى عبد الحليم

***

إلى جنى

إلى من كانت صغيرة، أمسك بيدها لأعلمها حروف اللغة..

حلمت كثيرًا، بأن تمر الأعوام لتقرئي ما أكتبه..

مرت الأعوام لتصبحي رفيقة أمك ودرة حياتها.. ولتقرئي لي يا رفيقتي..

هدى..

(0)

#هاشتاج

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

في سيارةٍ واحدة... ثلاث سيداتٍ وفتاة

السادس من مارس

الثالثة عصرًا تقريبًا

في سيارةٍ واحدة

ثلاث سيداتٍ وفتاة، تجمعهن سيارةٌ واحدة، وألمٌ واحد، ألمٌ قاتل جعل الصمت رفيقهن الخامس، صمتٌ ينطق بالوجع، الحسرة، والصدمة، يسيطر عليهن، يبدو الندم على ملامحهن التي احتلها الشحوب، وأعينهن الغارقة في حمرةٍ لازمت دموعهن التي لن تنضب، ولن تجف، وسط ذهول يحتل تفكيرهن ويشلّه عن العمل.

داخل كل منهن معركة تدور، وعاصفة تزوم، ورياح محملة بتساؤلاتٍ لا تهدأ، تساؤلاتٍ مؤلمة، لم تستطع إحداهن البوْح بها، فهي لم تتخيل أنها ستنطق بها، أو تتحدث بها أمام الأخريات يومًا ما.

كل منهن تغرق داخل إحساس قاتل أنها السبب، أنها كانت تستطيع أن تمنع ما حدث لنادين اليوم، أو أنها السبب فيما حدث لها؛ فيما فعله كريم.

كل منهن تتألم، تتحسر، تبكي، وتتساءل في حسرة: ما ذنب نادين؟

ما الذي فعلته لتلقى هذا المصير؟

ربما اختار كريم أن يفعل هذا، أما هي لم تختر، فما ذنبها؟

وبينما هن غارقات في آلامهن، يقتلهن جميعًا إحساسهن بالذنب، وبينما تلك الأسئلة المؤلمة القاتلة تعصف بكيانهن، كانت هناك تساؤلات أخرى حول نادين وكريم.

تساؤلات، تتضاعف في كل ثانيةٍ تمر، تسري عبر أفواه آخرين، وتنسخ عبر حروفٍ تُكتَب على الشاشات؛ لتنتشر أكثر وأكثر، فتتناقلها مواقع أخرى لتضيف المزيد من الأسئلة.

لماذا قرر كريم الانتحار؟

هل من أجل نادين؟!

هل قرر أن يقتلها أولًا ثم ينتحر؟ ليموتا معًا؟!

هل تراجع عن قرار انتحاره واكتفى بمحاولة قتلها؟ ولكنه مات قبلها؟

أم هو لم يعنِ ما كتب، وما حدث هو مجرد حادثة راحا ضحيتها؟

تساؤلات كثيرة، واحتمالات أكثر للإجابات، بعد تلك الكلمات التي فجرت كل شيء، كلمات كريم على صفحته الشخصية على الفيسبوك، في هذا المنشور الذي حرّر خصوصيتة ليتمكن أي شخصٍ من قراءته.

هذا المنشور الذي كتبه قبل ساعة من الحادثة؛ كتب فيه ثلاثة

أسطر فقط:

«الوحدة أن تبقى وكل شيء وكل شخص حولك باق، لكنه زائف أو كاذب..

اليوم تنتهي حياة لتبدأ أخرى..

اليوم أغادر الحياة لتعود لي روح في عالم آخر، عالم نقي دون كذب أو زيف».

منشور أثار بعد الحادثة تساؤلات مثيرة لمن قرأ، لمن راح يتابع.

تساؤلات اختُصِرت في هذا الهاشتاج الذي أصبح الأكثر رواجًا خلال أقل من ثلاث ساعات.

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار.

هذا الهاشتاج الذي اختصر في كلماته القليلة قصةً انتهت نهاية قاسية ومؤلمة.

***

ثلاث سيداتٍ وفتاة في سيارة واحدة، على تباينهن الواضح في كل شيءٍ إلا أنهن جميعًا -ومن أجل نادين- يعشن نفس الإحساس، ويقتلهن نفس السؤال:

هل هن جزءٌ مما حدث لها؟ هل كان من الممكن أن يمنعن ما حدث؟

صمتٌ كبيرٌ يبتلعهن، وألمٌ قاتل يئن داخلهن بلا توقف وهن في

طريقهن للمشفى، حيث نُقِلت نادين وكريم بعد الحادث.

الفصل الأول

ساعات قبل الهاشتاج

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

1

ثلاث سيدات وفتاة في سيارة واحدة

نعمة عباس عبد العال

«تلك السيدة التي تجلس في المقعد الخلفي للسيارة، والتي تقترب سنوات عمرها من الأربعين، ترتدي عباءةً سوداء من طراز سنواتٍ مضت، كانت الأقل تماسكًا، والأكثر حركةً برأسها الذي يهتز من حينٍ لآخر يُمنةً ويُسرةً، وهي تتمتم بالدعاء من وسط الدموع التي تغرق وجنتيها، تبدو على ملامحها الطيبة والسماحة، وتطل من عينيها طاقات من الحنان والاحتواء، تلك السيدة التي بنظرةٍ واحدةٍ، لا تراها إلا أُمًّا يتحلق أطفالها حولها ويتمتعون بحنانها، ويستمتعون بصحبتها وفيض أمومتها، يشع جمالٌ خفي من بين ملامحها الهادئة المريحة، جمالٌ نقي صافٍ ملأ روحها وملامحها، لم ينجح ما أحاطها به الزمن من قسوةٍ وأوجاعٍ أن يهزمه، غلبت كل هذا بروحها الحلوة العذبة، فبقي هذا الجمال الصافي داخلها، حتى لو تغضنت ملامحها مع مرور الأعوام واحتلتها بعض التجاعيد والبقع السمراء».

نعمة عباس عبد العال (أم رضوى)

قبل الهاشتاج بساعات

كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحًا، تنظر نعمة إلى نادين وهي تتناول إفطارها البسيط بهدوئها المعتاد، لا تمسك هاتفها في يدها أثناء تناول الطعام أبدًا، كما يفعل يونس أو غادة، تأكل دومًا

بتأنٍّ وهدوء، هي فقط -حين تتناول قهوتها- تمسك بكتابٍ بين يديها يتغير كل أسبوع.

لاحظت نعمة هذ رغم عدم إجادتها التامة للقراءة والكتابة، تلك النعمة التي حرمتها منها الظروف، والتي قررت ألا تحرم أطفالها منها مهما حدث، حتى لو كلّفها هذا الأمر أن تعمل ليلًا ونهارًا، وأن تكون دومًا ملتزمةً بأقساط جمعياتٍ لقضاء ديونها التي تقترضها لسداد مصروفات المدارس، ولشراء الكتب والأدوات الدراسية، حتى لو خاضت معركةً يوميةً مع سيد، زوجها الذي يرهقها فجراً برغباته الجنسية وصباحًا بالشجار معها؛ لعنادها وتصميمها ألا يترك عبد الجليل مدرسته ليتعلم الصنعة معه، ثم يعمل بورشة الأسطى كامل، أو أي ورشة أخرى؛ ليستطيع كسب قوت يومه، وفتح بيت بعد عدة سنوات.

هذا الجدال الذي يرهقها به، وتخوضه وهي تعلم أنه لن يفضي إلى شيءٍ سوى أن تحذره وللمرة الألف ليترُك ولديهما في حالهما، وألا يتدخل في شؤونهما؛ فهي تعرف الأصلح لهما، فينذرها بأنه لن يزيد جنيهًا على المئة جنيهٍ التي يمنحها لها كمصروفٍ يومي لإطعامهم، وأنه غير مسؤولٍ عن ما عداها.

ترتسم على وجهها ابتسامةٌ ساخرة مريرة حين تتذكر هذا الحوار شبه اليومي، الذي يتعمد خوضه فقط؛ ليؤكد عليها في كل وقتٍ وحينٍ أنها من تتمسك بهذه الشهادات التي لن تغني ولن تسمن من جوعٍ، وتستنزف الكثير من الأموال التي يرى أنه من الأفضل ادخارها؛ ليؤجر ورشة خاصة به، فهو ليس أقل من الأسطى كامل

الذي أصبح يتكبر على العمل بيديه، ويعتمد عليه في كل شيء ولا يعطيه إلا أقل أجر ممكن.

يسألها أن تكف عن العمل في البيوت لكنه لا يزيد المئة جنيه قرشًا واحدًا التي يمنحها لها لكل ما يلزم البيت، يرى أولاده يرتدون ملابس جديدة في العيد ولا يسألهم عمن اشتراها لهم، يحدّثه عبد الجليل عن نجاحه في المدرسة وتشجيع المدرسين له فلا يهتم، بل ينظر إلى كتابٍ يحمله الفتى-ليستذكر به- باستهزاءٍ قائلًا:

- هذه الكتب والمدارس خُلقت للأغنياء، وليست لنا.

فيرد عليه الفتى بشيء من التحدي:

- قد نصبح يومًا مثلهم.

فيسخر منه والده قائلًا:

- وكيف سيحدث هذا؟! ألا ترى العالم حولك؟! الحاصلون على الشهادات يعملون في مطاعم الكشري والمقاهي، ومرتباتهم بالكاد تكفيهم، لكن الصنعة شيءٌ آخر.

قبل أن يطول هذا الحوار تقطعه هي وهي تنبّه ابنها ألا يضيع وقته في غير دروسه؛ فيدخل الصبي حجرته في صمتٍ، بينما تنهي هي الحوار قائلةً في ثقة:

- ابني لن يكون صاحب صنعة، ولن يأخذ شهادته لينتهي الأمر به جالسًا فوق ماكينة دفع الحساب في سوبر ماركت أو مطعم، ابني سيصبح طبيبًا بإذن الله.

تقولها لينظر إليها ساخرًا وهو يتجه لباب الشقة، ويقول:

- فلتدخري له إذًا ثمن العيادة من الآن.

ويصفق الباب خلفه ذاهبًا لجلسته مع رفاقه، تلك الجلسة التي قد ينفق فيها ضعف ما يعطيه لها، فتتنهد في حسرة، لكنها سرعان ما تشغل نفسها بإنهاء أعمالها المنزلية في سرعةٍ؛ لتريح هذا الجسد المنهك طوال اليوم بساعة أو أكثر، قبل أن يعود من سهرته قرب الفجر.

ليوقظها في قسوةٍ وعنفٍ، وبنصف وعي تتركه يأخذ منها ما يبغي دون أي كلمة أو إشارة، وكأنه يكمل بما يفعل آخر طقوس يومه، ويختبر هذا القرص أو تلك الحبة التي نصحه بها أحد رفاقه هامسًا أنها من أجود المقويات، ثم يغط في نومٍ كالغيبوبة لينتهي يومه، وتبدأ عذاباتها وهي تنهض من جواره في انكسارٍ وحسرةٍ وتذهب لتغتسل.

بعد أن تؤدي ركعتي سنة الفجر ثم تصلي الفجر، تجلس في تلك الشرفة الضيقة التي تطل على شرفاتٍ مماثلة لها في الضيق في بيوتٍ صغيرة، تفصلها شوارع ضيقة بالكاد تكفي لمرور سيارة واحدة.

ورغم ضيق كل ما حولها؛ فهذه الشقة الضيقة في هذا المنزل الصغير، الذي يقبع في نهاية حارةٍ ضيقة من حواري حي السيدة زينب، ورغم ضيق حالتها المادية، وضيق أفق زوجها، ومشاعرها التي ضاقت بإهماله لها، وتجاهله لإحساسها كامرأةٍ تهفو لسماع

كلمةٍ حلوة، عبارة غزل، واحتياجها كإنسانةٍ لمن يربّت على يدها ويحتضنها، إلا أنها رغم كل هذا الضيق، تشعر في تلك اللحظات برحابة العالم واتساعه، وهي ترى الغد أجمل وأحلامها قيد التنفيذ بمشيئة الله الذي لن يخذلها، وسينقذ رضوى وعبد الجليل من أن يعيشا واقعًا مريرًا مماثلًا لواقعها.

وحدها نادين تُؤمن بحُلمها، وحقها وحق أولادها في الحُلم، بل وتشجعها؛ ففي أحد الأيام طلبت منها أن تصطحب رضوى معها، لتفاجئها بزيارة لمركز سوزان مبارك العلمي ومكتبة مصر الجديدة، وتبتاع لها بعض الكتب، وتعدها بهديةٍ رائعة لو نالت المركز الأول هذا العام في المدرسة كعادتها.

هذا الوعد الذي اجتهدت رضوى من أجله، لتفرح فرحةً لم ترَ مثلها في عيني ابنتها، بعد أن أوفت بوعدها، ونادين تقدم لها استمارة اشتراكٍ في أحد نوادي العلوم طوال شهور الصيف، بل واتفقت مع الأتوبيس الذي سيمر على الفيلا ليأخذها صباحًا ويعيدها عصرًا وبالمثل فعلت مع عبد الجليل؛ حين وضعت له مبلغًا ماليًّا في ظرفٍ أزرق اللون وسط كتابٍ عن أشهر أطباء العالم، وكتبت له عبارة واحدة «**العقل السليم في الجسم السليم**» وحثته أن يذهب إلى أقرب مركز شبابٍ؛ ليشترك في إحدى الرياضات؛ فهي تعرف عدم ميله لممارسة الرياضة أو حتى لعب كرة القدم مع أقرانه بالشارع؛ لذا شجعته أن ينتمي لجيله وسنه، ويشاركهم اهتماماتهم، وبالوقت نفسه، يجتهد في دراسته على الدوام؛ ليحقق حلمه بأن يكون طبيبًا.

راحت نعمة تنظر إلى نادين في اهتمام، تلحظ هذا الشرود بها منذ

استيقاظها، هي قلقة متوترة على غير عادتها، وأيضًا غادة، لكنها اعتادت تقلبات غادة؛ فهي تعرف مدى اهتمامها بعملها، بمركز العلاج الطبيعي والتخسيس الذي افتتحته منذ ثلاثة أعوام، وأنها تواجه أحيانًا مشاكل كثيرة تؤثر على انفعالاتها وشهيتها،عادت بطعام الفطور كاملًا من حجرة غادة، لم ينقص منه شيءٌ، ولاحظت هذا التوتر والقلق البادِيين عليها، أرجعته لشيءٍ يخص العمل فلم تسأل، ولم تبدِ أي انفعالٍ، فقط سألتها: هل أعد لك القهوة؟ فهزت رأسها أن «لا»، فغادرت الغرفة في هدوء.

ما حل بنادين هو ما يقلقها، لقد كانت بالأمس فرحةً، متألقةً، وقد عادت من النادي لتخبرها أنه تم قبولها للعمل بشركةٍ كبرى كانت تتمنى العمل بها منذ دخولها الكلية.

كانت فرحةً، وحدّثتها أنها ستخرج غدًا لشراء بعض الأغراض، وأنهت حديثها بأن اقتربت منها، وطبعت قُبلةً على خدها وهي تقول: «لقد استجاب الله لدعواتك لي يا أجمل نعمة». وتركتها في خطواتٍ بطيئة، لتسمعها وهي تحدث والدتها عبر هاتفها الخلوي عن هذا الخبر الحلو.

كانت نادين هي الوحيدة بالفيلا من تناديها باسمها «نعمة»، هذا الذي كادت تنساه، حتى غادة -والتي اطلعت على بطاقتها عند استلامها العمل بالفيلا، وقرأت اسمها ثلاثيًا- تناديها «أم رضوى» كجيرانها والبواب، وحتى أختها، الوحيدة التي تناديها «نعمة» هي نادين.

ترقبها نعمة بقلقٍ عبر نافذة المطبخ التي تطل على تلك الحديقة الخلفية وهي تقوم بإعداد ما ستحتاجه لطعام الغداء، تود أن تذهب إليها لتسألها، لكنها ستؤجل هذا حتى تغادر غادة، فهما حتمًا ستتحدثان بعد قليل.

لقد تركت غادة الحديقة الأمامية بعد أن جلست فيها -على غير عادتها- لفترةٍ طويلة، ودون أن تنتبه لموعد مغادرتها المعتاد لعملها في العاشرة صباحًا، وصعدت إلى حجرتها لتغير ملابسها، وها هي تقترب من نادين وما زالت تلك النظرة القلقة تملأ عينيها، وتنطق خطوات جسدها بقلقٍ وتوتر، تبادلت عبارات قصيرة مع نادين، ثم اتجهت إلى بوابة الفيلا لتركب سيارتها.

كانت نادين لا تزال في جلستها الصامتة الساكنة، تمسك هاتفها وتكتب شيئًا ما، ثم تتردد فتعيده إلى مكانه أمامها في شيءٍ من الغضب والضيق، تتطلع لكل شيءٍ حولها في تساؤل وكأنها ستقرأ عليه إجابة تساؤل حائر داخلها تبحث عنها ولكنها لا تجدها.

لم يطل حوارها مع غادة، رغم أن من عادتها في الصباح أن تتحدث مع نادين بعض الوقت، وقد تتناول معها قهوتها قبل أن تتصفح هاتفها لفترةٍ قصيرةٍ، ثم الكثير من القهوة والمكالمات، ثم المغادرة على عجل للمركز القريب من الكومباوند.

تفكر نعمة في إعداد طبقٍ من الفواكه والذهاب به إلى نادين؛ تقترب منها بابتسامتها النقية التي تقفز من قلبها لوجهها دومًا عندما تكون مع نادين وحدهما، ابتسامة ممتزجة بنظرة الحب والامتنان

لها، تتمنى أن ترى رضوى يومًا مثلها؛ جميلة، طموحة، قوية، وحنونة، وصادقة. نعم، ترى في نادين الصدق دومًا.

تراها صادقة مع نفسها، لا تنكر واقعها، لا تتجاهله، ولا تنساه، تعيش واقعها لكن إلى جوار حُلمها، تعرف أن كل ما يحيط بها ليس واقعها لكنها تحياه؛ لأنه صار عليها أن تحياه، هي لم توافق ولم ترفض، قد خاضت التجربة وجعلتها جزءًا من واقعها، لكنها تعرف أنها ليست كل واقعها، هي فقط جزءٌ منه.

تضع أمامها طبق قطع الفواكه، ولا تنطق بأي كلمةٍ؛ تلك عادتها مع نادين فقط، أن تصمت وتتركها هي لتتحدث أو تعلق على ما تقدمه لها، وغالبًا ما تشكرها أو تفتح معها حوارًا، وها هي واقفة أمامها تنتظر ولم تسأل؛ فهي رغم كل حبها لنادين تعي جيدًا أنه يجب عليها دومًا الحفاظ على مسافةٍ بينهما وألا تتجاوزها، فهي الخادمة في هذا المنزل الذي تقيم فيه آنسة نادين.

تنظر إليها وهي تتطلع إلى اللاشيء أمامها في شرودٍ وحيرةٍ، تمر ثوانٍ ثم تلتفت إليها قائلةً في حروفٍ متأنيةٍ وبصوتٍ خفيض:

- فلتجلسي يا نعمة، أريد أن أتحدث إليك.

تجلس أمامها دون أن تنطق في ترقب، تعرف أنه ستمر لحظات قد تمتد لدقائق قبل أن تبدأ هذا الحوار بسؤالٍ شارد:

- هل تعرفين شيئًا عن كريم؟ كيف حاله الآن؟

- عرفت من صاحب البيت أنه قد اشترى محلًا جديدًا في شارع

المحطة.

لتتمتم له بالدعاء:

- ربنا يصلح حاله، شاب ابن حلال ومؤدب.. هل حدث شيء ما لهاتفك.. يمكن..

قاطعتها نادين في توتر:

- نعمة، أنت تعرفين ما أقصد؟

تخفض نعمة رأسها أرضًا ولا تنطق.

نعم، هي تعرف، وتعرف منذ فترةٍ طويلة، لكنها لم تكن لتتحدث أو تحكي، لم يسألها أحد وهي لم تكن لتسأل، كل ما كانت تعرفه هو مجرد استنتاجات، عبارات استمعت إليها بالمصادفة، ومحادثات سمعت بضع كلماتٍ منها، وحين ربطتها بتلك الحال التي تغير إليها كريم لفترة امتدت لشهور؛ أدركت ما حدث، واستنتجت أن القصة قد انتهت.

أدركت أن الإجابة ستحسم أمرًا يشغلها؛ هذا الأمر الذي أغرق فرحة الأمس في بحرٍ من الحيرة والتوتر، فلم يعد لها أي أثرٍ وكأنها لم تكن، وهذا ما أربكها؛ هي لا تعرف أي إجابةٍ تلك التي تود نادين أن تسمعها، هل ستسعد لو عرفت أنه لا يزال يفتقدها، وأن روحه لم تعد إليه منذ انتهت القصة؟ أم أنها تود أن تتأكد أنه عاد لنفسه، وعاد لحياته العادية، وبدأ طريقًا يعرف أنه لن يقابلها فيه أبدًا؟ كانت تائهة في احتمالات لا ترجح إحداها، فقررت أن تتمسك بصمتها وتلوذ به،

و...

- حسنًا، سأعرف بنفسي يا نعمة، شكرًا.

نطقتها نادين في سرعةٍ، بعد دقائق صامتة مرت لم تجب فيها نعمة سؤالها، ووقفت لتغادر الحديقة في خطواتٍ سريعةٍ متوترة إلى غرفتها.

لأول مرةٍ تشعر أنها خذلتها وهي التي لم تخذلها يومًا، بل كانت دومًا تغمرها بكل ما هو جميلٌ ومبهج؛ ابتسامتها لها في الصباح، وسؤالها عن حالها، السؤال الحقيقي الصادق الذي تنطقه باهتمامٍ، ورغبة صادقة في الاستماع إليها، اهتمامها بأشياء صغيرة تمنحها البهجة والفرحة ولو لدقائق، وتصرفات تفعلها بعفوية وحب لكنها تبهرها.

لا تنسى هذا اليوم الذي وجدتها به مرهقة ومجهدة، ويبدو التعب في عينيها المنتفختين إثر عراكٍ مع سيد؛ لأنها رفضت ولأول مرةٍ أن تمنحه جسدها بهذا الأسلوب الهمجي الذي اعتاد عليه، كانت إحدى مرَّات سيطرت فيها كرامتها فرفضت وثارت لنفسها، بعد سنواتٍ من الخضوع والمعاناة، لكنه أخمد تلك الثورة سريعًا ليعيد كرامتها إلى مكانها المظلم داخلها إلى جوار كل ذكريات طفولتها القاسية، وليترك أثر تلك الثورة على أجزاءٍ من جسدها؛ لتذكرها دومًا أن هذا الجسد ملكه يفعل به ما يشاء، وقتما يشاء، ولا حق لها في الرفض، أو حتى محاولة الاعتراض على أسلوب أو توقيت استخدام هذا الجسد.

كانت ليلةً من أسوأ لياليها، وانتهت كما تنتهي كل لياليها؛ يغط هو

في نومٍ كالغيبوبة، بعد أن نال من جسدها وكرامتها، فتنهض في صعوبةٍ لتغتسل وهي تنزف دموع كرامتها التي لم يعد لها وجود، وتصلي الفجر باكيةً لله ضعف حالها، تسأله العفو والمغفرة، وأن يمنَّ عليها ويعوضها بألا ترى مكروهًا في أولادها؛ فهما كل ما تملك في الحياة، ودونهما ما كانت لتحتمل الحياة في هذا البيت، بعد كل ما احتملت في طفولتها ومراهقتها، وهربت منها إلى هذا البيت وهذا الرجل؛ آملةً في شيءٍ من الأمان، وشيءٍ من الحنان الذي لم تجده معه، فصار البيت بجدرانه الباهتة وأثاثه الشعبي الرخيص هو ما يمنحها الحنان، وليس صاحبه.

تلك الليلة التي قتلت فيها معاني كثيرة في حياتها، ليأتي حديث نادين في الصباح وما فعلته، فيمنحانها معنى آخر وهي تسألها ألا تقوم بأي من أعمال المنزل، وتستأذن غادة في اصطحابها معها؛ لتقضي معها عدة ساعاتٍ ما بين النادي الرياضي ومحلات الملابس، ثم صحبتها معها للسينما التي كانت تدخلها لأول مرة، ثم تناولت معها طعام الغداء، لتجرب لأول مرة أن يقوم أحد على خدمتها، يسألها عما ترغب في تناوله من طعامٍ وعصيرٍ دون أن تذهب لتشتري، وتقطع، وتعد، وتقدم، وأن يقدمه لها مباشرة.

أن تنعم بدقائق من الراحة بعد تناول الطعام دون أن تحمل هم حمل الأطباق وغسلها، وإعادة ترتيب المطبخ، ووضع ما تبقى من الطعام في علب الثلاجة، وتنظيف أرضية المطبخ، وتجفيف الأطباق والحوض.

كانت لأول مرة تنعم بكونها إنسانة وليست خادمةً في بيوت

الآخرين، تؤدي عملها دون انتظار كلمة شكرٍ أو تقديرٍ من أصحاب هذه البيوت؛ فهي تتناول أجرها، وهذا في نظرهم كافٍ، بل وربما أكثر مما تستحق، ثم تلهث في طريق عودتها لمنزلها، لتقوم من جديدٍ بنفس المهام، ودون كلمة شكرٍ أيضًا، كان يومًا أنساها ليلتها السابقة، يومًا رأت فيه حياة لم تنعم بشيء منها، فقد حرمت الكثير، ولم تفكر يومًا إلا فيما منّ الله عليها من نعم، ولكنها تمنت أن ينعم أولادها بحياة كتلك، حياة يختاران تفاصيلها، لا يجبران عليها، حياة بها قدر من الراحة والأمان.

تعمدت نادين ألا تسألها عما بها، بل وألا تسألها عن أحوال أولادها، كانت تنتقي أحاديثها معها، راحت تتحدث معها عن بعض أنواع الطعام، ورغبتها أن تتعلم بعض الأصناف صعبة الإعداد، حدّثتها عن كرهها لمدن الملاهي وخوفها منها؛ بسبب حادثة سقوطٍ حدثت لإحدى زميلاتها في المرحلة الابتدائية.

راحت تروي لها أحداثًا طريفة ومضحكة، جعلتها هي أيضًا تسترجع بعض لمحاتٍ من طفولتها التي لم تكن بها الكثير من الذكريات اللطيفة لترويها، لكن وهي معها راحت صور باهتة تعود لذاكرتها، صور مشوشة لأمها التي فارقتها وهي في سن الخامسة تطفو على سطح ذاكرتها، وزوجة أبيها التي تعمدت استبقاءها إلى جوارها دون زواج ودون تعليم لتخدمها، وتربي إخوتها، تحت شعار أنها تؤهلها لتكون ربة منزل يشهد الجميع لها بمهاراتها في خدمة زوجها، والقيام بشؤون منزلها، استبقتها زوجة أبيها إلى جوارها تخدمها، حتى اقترب سنها من العشرين، فاضطرت أخيرًا لتزويجها

من سيد، الذي وحتى اليوم يظن أنه قد تنازل بزواجه منها، بينما كان من الأفضل أن يأخد فتاة في الرابعة أو الخامسة عشرة، وليس عانسًا، كما كان دومًا يعايرها بهذه الكلمة.

لم يكن في طفولتها ما ترويه سوى غسيل الصحون، وكنس البيت، والذهاب للسوق، وحمل طبق الغسيل إلى سطح المنزل؛ فحدّثتها بدلًا منها عن رضوى وعبد الجليل، وتلك المشاكسات الدائمة بينهما، روت لها عن أحلامها لهما، وذكريات طفولتهما المبكرة وكأنها تعيش فيهما، تعيش طفولتها معهما، كان يومًا من تلك الأيام القليلة، وربما النادرة في حياة نعمة، التي فرحت فيها، كسجين يرى العالم لأول مرة بعد سنوات طويلة من السجن، ونادين هي من رافقتها، بل هي من جعلت هذا اليوم ذكرى لن تنساها.

ظلت نعمة طوال الساعات الثلاث التالية، وحتى اقتربت الساعة من الثانية ظهرًا، قلقة متوترة، يدق قلبها بانقباض، كان بالها مشغولًا، وذهنها مشوشًا، تفكر في نادين، وتلوم نفسها، تفكر أن تتصل بها لكن فيمَ ستحدثها؟ وهل ستجيب مكالمتها؟

تمسك بهاتفها قديم الطراز، ذي الأزرار والإضاءة الخافتة، واللون الأسود الذي تحول إلى درجةٍ رمادية داكنة، هذا الهاتف الذي لم تستطع استبداله بآخر حديث ذي شاشة ملونة، وكاميرا، وحجم أكبر كالذي يحمله زوجها، أو هذا الهاتف الذي منحته نادين هديةً لها حين اشترت جهازًا آخر أحدث، والذي حين رأته رضوى طارت به كالمسحورة وهي تلمس شاشته، وتشغل الكاميرا وتلتقط به صورًا لهما؛ فقررت ألا تحرمها تلك السعادة وتركته لها، فاستأذنتها على

الفور أن تنزل إلى باشمهندس كريم في المحل ليُحمّل لها بعض البرامج.

لم تفهم ما تعنيه رضوى، تسمعُ أنَّ الهواتف قد تجلب الكثير من المشاكل، وتُضيع وقت من يحملونها وخاصةً الطلبة، لكنها تثق في رضوى وفي حرصها على وقتها، وقد حذرتها وهي تُسرِع الخُطى -بعد أن غيّرت ملابسها للنزول- أنها ستحرمها منه لو وجدت أي تقصيرٍ في دراستها بسببه؛ فابتسمت لها في ثقةٍ قائلةً:

- إنه حُلمك يا أمي، وأنا أبدًا لن أخذلكِ.

تدمع عيناها وهي تتذكر هذا الموقف؛ نادين وهي تمنحها الهاتف وابتسامتها الحلوة قبله كيلا ترفضه، وفرحة رضوى به.

يسيطر على نعمة نفس الإحساس الذي شغلها قبل أن تهاتفها جارتها قبل عامين لتخبرها أن السكين قد جرح يد ابنتها رضوى وهي تعد الطعام لأخيها، وأنها ذهبت بها إلى المستوصف، فخاطه الجراح غرزتين، إحساس القلق، الترقب، وانقباض القلب، وشيء من الاختناق.

قررت أن تتصل بها؛ تشعر أنها لن تطمئن إلا بسماع صوتها حتى لو غضبت منها فستعتذر لها، لقد علمتها رضوى الحروف، والأرقام، وكيفية كتابة الأسماء وتسجيلها. أخرجت اسمها، وضغطت على الزر المرتسمة عليه السماعة الخضراء، وضعت الهاتف على أذنها، وراحت تنتظر وتنتظر، ولا أحد يرد، كررت الاتصال ثانيةً وقلبها غير مطمئن، ليرد عليها صوتٌ أجش لرجلٍ يسألها في خشونة:

- من أنتِ؟

أربكها سؤاله، أجفلت له، نسيت أنها تطلب رقم نادين، وهي التي من حقها أن تسأل هذا السؤال، لكن لهجة الرجل الخشنة جعلتها تنطق في تردد:

- أنا أم رضوى، ماذا حدث؟

قالتها بحروفٍ مرتعشة، وقلبها يكاد يتوقف نبضه.

لا هذا الرجل يمنحها أي إجابةٍ، فقط يسألها بنفس اللهجة الخشنة:

- ما علاقتك بصاحبة هذا الهاتف؟

تجزع لسؤاله ولهجته، ولكونه يرد على هاتف نادين. من هذا الرجل؟ وأين هي نادين؟

يعيد السؤال عليها ثانيةً بنفس لهجته الخشنة:

- إنني أحدثكِ، ما علاقتكِ بها؟

تجيبه بسرعةٍ وبحروفٍ متلاحقة خائفة:

- إنني أعمل في البيت عند يونس بك ومدام غادة.

ثم تتغلب على خوفها، وتسأله في توتر وهي تكاد تبكي:

- ماذا حدث للآنسة نادين؟ أرجوك أخبرني.

ليجيبها أخيرًا بروتينية من اعتاد التحدث في هذه الأمور والمرور بها:

- إنها في مشفى مدينة نصر؛ لقد أصيبت هي والشاب الذي كانت معه، والشرطة هنا، يجب أن تبلغي أهلها.

ثم ينهي المكالمة في سرعةٍ دون كلمةٍ أخرى.

تشعر بقلبها يكاد يتوقف عن العمل، قلبها الذي حدّثها بأن شيئًا ما سيحدث.

تُرى ماذا حدث لها؟

ومن هذا الشاب الذي كان معها؟

هل هو كريم؟

ينهار جسدها، تتهاوى أرضًا، ويستند ظهرها على الحائط خلفها، يقع الهاتف إلى جوارها، تسمع رنينه فتمسك به في خوفٍ وفزعٍ، وتضغط زر استقبال المكالمة؛ لتسمع صوت رضوى التي تحدثها باكيةً، تنطق بكلمات كثيرة متلاحقة: فيس بوك.. وبوست.. وهاشتاج. تتحدث في سرعةٍ وهي تبكي، لا تفهم منها شيئًا إلا عبارةً واحدةً:

- كريم قرر الانتحار، وربما حاول قتل نادين، البوست الذي....

لا تفهم ولا تسمع أيًّا مما تقوله رضوى بعد هذا، تترك الهاتف يقع بجوارها، وهي تصدم رأسها بالحائط مرات ومرات وتردد وتكرر دون وعي:

- أنا من فعلت هذا يا حبيبتي، أنا من عرفتك به، أنا السبب.. أنا السبب!

***

2

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

ثلاث سيدات وفتاة في سيارة واحدة

أمينة حسين الصاوي

(..تشبه أمينة، تلك السيدة إلى جوارها، لكنها تسبقها بأعوامٍ لا تزيد على ست أو سبع سنوات، وكأنها نسخةٌ متقدمةٌ منها، نسخةٌ باهتةٌ، شاحبةٌ، حفر الزمن على كل ذرةٍ من ملامحها مسحةً من الحزن الذي استقر في عينيها كمرفأ أخيرٍ لا يغادره.

تطل من حجابها الذي لم تُحكم لفَّه عدة شعيراتٍ بيضاء، لم تحاول صبغها، وكأنها لا تأبه أن تبدو أكبر سنًّا، حتى ما ترتديه يحمل تلك اللمسة اللامبالية، والمفتقرة لأي لمحة اهتمامٍ أو تنسيق، لا تستعمل أيًّا من أدوات الزينة لتخفي عن ملامحها أثر هذا الحزن، وتلك الهالات التي أسفل عينيها معلنةً عن إرهاقٍ لا يفارقها، وأرقٍ لم تقاومه، تركت بشرتها لكل العوامل التي تضرها؛ أرق، إرهاق، وتعرض للشمس والأتربة، وربما سوء تغذية، لتصل في سرعةٍ لهذا الجفاف والشحوب، وتبدو كأوراق وردةٍ جفَّت منذ فصولٍ مضت، لم يتبقَّ من كوْنها زهرةً إلا شكل أوراقها فقط، أما اللون الزاهي والرائحة الفواحة، والملمس الناعم فلم يعد له وجود، تمامًا كتلك البسمة التي فارقت شفتيها بلا عودة مع بريق عينيها الذي تلاشى منذ سنواتٍ....).

أمينة حسين الصاوي

لم تكن أمينة قد وصلت لشقتها بعد، تلك التي تشغل الدور الخامس من عمارةٍ ليست بالمتهالكة أو الفخمة، لكنها ذات أدوارٍ كثيرة وشققٍ ضيقة، تطل على شوارع ضيقة مكدسة بالدكاكين، والبضائع، والمارة، وتلك العلب الحديدية ذات العجلات الثلاث المكسوة بالجلد الأسود الكئيب، والمسماة «تكاتك».

لا تزال تسير مكبلة اليدين بتلك الأكياس البلاستيكية، ووسط هذا الازدحام الذي يصنع مع الضجيج حالةً من الاختناق الذي لا يسبب الموت لكنه يقتل طعم الحياة، ولذة الهدوء، وحالة السلام، حالة من الاختناق اعتادت عليها منذ سكنت هذه المنطقة ولم ترفض، ولم تعترض، وليس أمامها سوى التقبل والتعود تمامًا، كما اعتادت كل ما حولها من أعباءٍ، والتزاماتٍ، ومشكلاتٍ، اعتادت الانصياع، القبول، والطاعة، تصوغُ هذا كله تحت مسمى «الرضا».

مظهرها غير المهندم دومًا -لعدم اهتمامها- ارتضت به، أو لم تعد تلتفت إليه، تحدث نفسها أن هناك دومًا ما هو أولى بوقتها الذي ستضيعه في تنسيق ملبسها، والاهتمام بمظهرها.

لا تضع أيًّا من مساحيق التجميل، ولا حتى البسيط منها، ولا تهتم بشراء أي منتجاتٍ للعناية ببشرتها أو بشعرها، تكتفي بكريمٍ مرطب للأيدي شتاءً، وهو نفسه ما تستعمله لوجهها، لا تستمع إلى زميلاتها في المدرسة اللاتي يتحدثن عن كريمات الليل وغيرها للنهار، وأخرى لوقاية البشرة من أشعة الشمس الضارة، تنصرف بذهنها عن هذه

الأحاديث، محدثةً نفسها أن بيتها وأولادها أولى بتلك الأموال التي قد تضيع في منتجاتٍ حتى لو عالجت بها تلك التجاعيد التي سكنت جانبي عينيها؛ فلن تنجح في إزالة آثار تلك السنوات التي مرت من قلبها وذاكرتها.

ما فائدة أن تمحو آثار الزمن من ملامحها وهي محفورة داخلها؟!

هل بيدها أن تغير شيئًا حولها؟

بل، هل اختارت شيئًا من كل ما مر بها؟

هي أبدًا لم تختر أي شيء مما مر بحياتها.

لم تختر حين مرضت والدتها بهذا المرض الخبيث أن تكون مرتبكة مشتتة على وشك الانهيار بينما كانت غادة ذات الأعوام العشرة أكثر قوة وتماسكًا منها.

حتى رأفت –زوجها الأول- لم تختره، هو من اختارها، في أول يوم عُينت به معلمة للدراسات الاجتماعية بنفس المدرسة التي كان يعمل بها قبلها بعدة سنوات، هي لم تختره، هو من اختارها، وهي قبلت.

قبِلت لتبدأ معه حياة هادئة جميلة، لكنها دومًا كانت خائفة من شيء ما، تتوجس من كل مجهول، تخاف على بيتها، على نادين، على زوجها، جعلها هذا الخوف دومًا فريسة للتوتر، القلق، وصارت دومًا عصبية.

هل اختارت أن تتحقق كل هواجسها وربما ما هو أقسى منها بوفاة

رأفت في حادث سير لتصبح وحدها هي ونادين؟

دومًا لم تكن تختار، كانت ترتضي، تقبل، تتقبل، وتبرر دومًا بأن الأمور هكذا جرت.

حتى صدمة وفاة رأفت لم تغيرها لتصبح أقوى، بل زادت من انكسارها وقلة حيلتها؛ فقد كان رأفت يدير كل شؤون حياتهما، وشؤون نادين.

اضطرت للعودة للعمل بالمدرسة، ممسكة بيد نادين من جهة وبيدها الأخرى تحمل أعباءً لا حصر لها، من تخوُّف وترقب، وانعدام ثقة؛ فهي لم تدرس منذ نحو أحد عشر عامًا.

وهل هي من قررت خفضَ عدد الموظفين في الشركة التي كان عماد يعمل بها؟

عماد؛ الذي تزوجته، لتبدأ معه حياة تبحث فيها عن بعض الاستقرار أو الأمان، لينزع عنه القدر أمانه البسيط، المتمثل في راتب معقول لم تطمح لأكبر منه، وهما يخططان لحياتهما معًا، ولكن بعد أربعة أعوام، وبعد أن رزقهما الله بطفلين، أجبِر على التقاعد، ليكتشف أنه لا حقَّ له في المعاش إلا بعد الوصول لسن الستين!

وهل اختارت أن تعمل حينها صباحًا في المدرسة ومساءً في مركز للدروس الخصوصية بالقرب من منزلها لتوفر دخل معقول للبيت؟

وهل هي من اختارت لابنيها مصطفى وهشام أن يكونا بهذا المستوى الدراسي السيئ بسبب فرط الحركة وتشتت الانتباه، والذي

جاء مصاحبًا لزيادة في كهرباء المخ!

معاناة اعتادت عليها بكل تفاصيلها؛ متابعة الاستشاريين، نوبات متكررة، أدوية باهظة الثمن، وقد لا تتوافر، إجراءات معقدة لمحاولة صرف الأدوية على نفقة الدولة.

وهل هي من اختارت أن تتركها نادين لتبقى مع غادة في بيت جدها، ثم تنتقل معها لمنزل يونس بعد زواج غادة به!

كل هذا لم تختره لكنها تتحمله، ترضخ له، وتتأقلم معه؛ فلا حل آخر أمامها.

تسير حاملةً تلك الأكياس بيدها، وتئن أصابعها من ثقلها، تبغي دقائق تريح فيها أصابعها، وتضع تلك الأحمال أرضًا، لكنها لا تجد مساحةً تسع وقوفها فيها لدقائق؛ فالناس يتدافعون حولها وهي معهم، تسير محاولةً تفادي تلك الكائنات الميكانيكية السوداء التي تسير ببطءٍ بالكاد يتعدى سرعة خطواتهم.

تصل أخيرًا لشارع جانبي أقل ازدحامًا، وأقل اتساعًا بعض الشيء، تنتفس بعضًا من الهواء المحمل برائحة المخبوزات المتطايرة من هذا المخبز الذي يقع على بعد أمتارٍ منها، لتتذكر أن «مصطفى» قد طلب منها فطيرتين بدلًا من طعام الغداء، هذا الذي لا يحبه طالما خلا من شرائح الدجاج المقلية «البانيه» والمعكرونة ذات الصوص الأبيض؛ فهو يرفض أي نوعٍ من الخضار والأرز حتى لو سلقت معها قطع اللحم، أو قامت بتحمير دجاجة إلى جوارهما.

لم تكن نادين يومًا تعترض على ما تُعده لها من طعامٍ وهي في

مثل سنه، وحتى اليوم ما زالت تتناول ما تعده لها بشهيةٍ، وتشكرها عليه، بل وتخبرها ألا أحد في العالم له نفس مذاقِ طعامها، حتى أشهر المطاعم.

ما زالت هي نادين التي تجلس إلى جوارها، تقترب منها لتحتضن يدها، وتسألها في ودٍّ وحنانٍ:

- كيف حالك؟ أخبريني، أريد أن أطمئِن عليكِ، وعلى مصطفى وهشام.

فتبتسم لها، ولا تجيب، بل تسألها:

- بل حدثيني أنتِ عنكِ، وعن غادة التي صارت دومًا مشغولة، ولم تعد تحكي كما كنا منذ سنوات.

تستمع لحديث نادين عن حياتها، عن دراستها، وعن غادة، تتألق عيناها بابتسامةٍ قلما تضيء وجهها، لا تمحو هذا الحزن المقيم في عينيها، لكنها تجعله يتراجع لدقائق وهي تصغي إليها، تلك الدقائق التي تطمئِن قلبها القلق دومًا عليهما.

نادين وغادة واقع آخر، لم تختره لكنها ارتضته.

تتنهد في شيءٍ من الفرحة وهي تذكر نفسها أنها سترها غدًا، أخبرتها نادين أمس أنها ستزورها ومعها خبرٌ سار، تُرى ما هو هذا الخبر؟

هل أعادت التفكير في موضوع هذا الشاب المسمى كريم؟

هل قبلت أن تستمع إليه ثانية حين وجدته يلح في طلب يدها؟

وهل ستمنح نفسها فرصةً ثانيةً لتفكر؟!

هي لا تملك شيئًا من قرار نادين، لا تملك إلا أن تقدم لها النصيحة والمشورة لا أكثر.

تتوقف عند المخبز، لتلقي بالسلام على صاحبه عم حافظ، ثم تسأل ابنه محمود أن يأتي لها بفطيرتين من هذا الذي خرج من الفرن توًّا؛ فينظر إليها محمود في دهشةٍ تحولت إلى شيءٍ من الشفقة وهو يلتفت لوالده في تساؤل طال للحظاتٍ، قبل أن يخفض رأسه أرضًا في صمتٍ عجيب.

تطيل النظر إليه في حيرة، لا تزال تحملُ أكياسها التي تئن يدها من ثقلها، وهي تتعجل الوصول لشقتها لتُسقِط هذا الحمل عن يديها، ترفع رأسها للمعلم حافظ كما يحب أن يناديه الناس، وتسأله في شبه ابتسامةٍ:

- ماذا هناك يا معلم؟ ألا تريدون البيع اليوم؟!

يرتبك هذا الرجل الخمسيني، والذي تسود الحيرة ملامحه مع هذا الحزن في عينيه وهو يتهرب بوجهه منها، ويلتفت للناحية الأخرى، تنقل بصرها ما بين محمود الذي لا يزال مطرقًا برأسه أرضًا، وأبيه الذي لا يزال ملتفتًا للناحية الأخرى، بعد أن فطن أنها لم تعرف ما أخبره به محمود منذ دقائق، هذا الخبر الذي قرأه له من شاشة هاتفه الذي لا يفارق يده، عن نادين ابنتها.

تتنهد في حيرة، تنظر إلى تلك المخبوزات حولها والتي تملأ المكان،

وتزداد دهشتها، ماذا هناك؟!

تفكر أن تتحرك لتواصل طريقها لمنزلها، لكنها تجد أنه من غير اللائق أن تفعل، تخطو داخل المكان، تقترب من محمود وتسأله:

- ماذا هناك يا محمود؟ تكلم، هل حدث شيءٌ لوالدتك لا قدر الله؟

يظل محمود على وقفته الصامتة، لا يرفع رأسه إليها؛ فتلتفت إلى والده، وقبل أن تنطق بشيءٍ تراه يلتفت إليه بعينين يقاوم أن تبدو الدموع بهما وهو يقول بصوتٍ مختنق:

- واضح أنه لا أحد أخبركِ بما حدث لنادين وأستاذ كريم!

ما إن سمعت اسم نادين ورأت هذا الأسى الذي يطل من عينيه وذكره اسم كريم مع اسمها، أفلتت كل ما بيدها وهي تسأله في جزع:

- نادين! ماذا حدث لها؟

3

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

ثلاث سيدات وفتاة في سيارة واحدة

جودي محمود الجمال

(... بالمقعد الخلفي، تلك الفتاة العشرينية التي تجلس إلى جوار نعمة، والتي أزال بكاؤها كل آثار ما استعملته من مساحيق تجميلٍ ولم يتبق سوى آثار مختلطة منها؛ فبدا أثر كحل عينيها بلونٍ رمادي تحت عينيها، وخلعت هي بنفسها تلك الرموش الصناعية التي كانت قد ألصقتها بطرفي جفنيها، فتبقى منهما بضع نقاط سوداء متناثرة على جفنيها، وبات ما حول شفتيها دائرةً غير منتظمةٍ من اللون الوردي إثر انسحاب لون أحمر الشفاه الداكن الذي كانت تضعه إلى ما حولهما؛ لتعود للون بشرتها الأصلي الذي تداخل مع أثر الكحل وأحمر الشفاه، ليصنع بشرة ذات درجات ألوان متعددة. ظلت تبكي حتى تحول بياض عينيها إلى لون أحمر وردي غارق في الدموع.

تجلس كالتمثال الذي لا يتحرك منه شيءٌ سوى أصابعها التي راحت تلامس شاشة هاتفها المشروخة في توتر، وعينيها اللتين تتحركان في بطءٍ مارتين على ما يظهر أمامها على شاشة هاتفها، بلا أي رد فعلٍ تجاه ما تقرأ، وكأنها تعرف كل هذا الذي تقرأه أو تتوقعه، تتأمل الصور التي كانت تنشرها بنفسها احتفالًا بمناسباتهما، وإعلانًا لها، والتي انتشرت في سرعةٍ على وسائل التواصل الاجتماعي لها مع نادين توثيقًا وتأكيدًا لعلاقتها بنادين صاحبة الهاشتاج الأكثر رواجًا.

تتأمل ملامح نادين الجميلة الناعمة، وابتسامتها البريئة كطفلةٍ في الخامسة من عمرها مُنِحت ما تحب من حلوى، وبريق عينيها الخاطف دومًا للأبصار، بريقٌ أزرق ورثته عن والدتها وخالتها، يزيد من جمالها، ويمنحها شيئًا من التميز والتألق الدائمين.

تتابع صورهما، لترى تاريخ صداقتهما، ومناسبات كثيرة، وأحداثًا مهمة وثَّقتها تلك الصور التي صارت اليوم الأكثر انتشارًا، والأكثر ألمًا لها الآن وهي تراها، متناثرة على صفحات التواصل الاجتماعي، أسفل عناوين قاسية عن صديقتها.

مع كل صورةٍ يضرب قلبها سكينٌ حادٌّ، تتمنى لو أنه ليس مجرد إحساسٍ فقط، تتمنى لو أنها تملك سكينًا حادًّا لتغرس نصله في قلبها، ربما ينتهي هذا الألم، وهذا الإحساس الذي يقتلها كل ثانية وهي ترى صور نادين الآن، ونادين نفسها ليست إلى جوارها، وربما لن تكون أبدًا).

جودي محمود الجمال

قبل الهاشتاج بساعات

تقف جودي وسط غرفتها التي تتجاوز مساحتها العشرين مترًا ممسكةً بهاتفها، تتحدث في عصبيةٍ:

- مروان، أرجوك ألا تتدخل في أمرٍ كهذا! اختيار المنتجات التي نعلن عنها أمرٌ يخصني وحدي، أما الاتفاق مع الشركة هو ما يخصك.

تزفر في نفاد صبرٍ، بعد أن تمر ثلاث أو أربع ثوانٍ بعد انتهاء

عبارتها، في صمتٍ يتعمده مروان دومًا في كل مرةٍ تحدثه بعصبية أو بلهجةٍ لا تروق له، ثم يبدأ الرد بلهجته الهادئة، ليجيبها في إيجازٍ:

- جودي، يمكننا التحدث في وقتٍ لاحق، ربما غدًا، بعد مرور يومٍ على الفيديو.

- حسنًا، فلنتحدث غدًا.

تنهي المكالمة بنبرةٍ حاولت أن تخفف من حدتها؛ لتبدو غير عصبية وغير متوترة كما يصفها دومًا، فيذكرها بأن هذا يزعجه، وقد لا يتحمله يومًا ما ويضطر لإنهاء تعاقدها معه، وهو الأمر الذي لا تتمنى حدوثه على الإطلاق؛ فلقد صنع مروان طفرةً حقيقيةً لرواج قناتها على «اليوتيوب» وعلى كل المنصات في زمنٍ قصير، دون شراء متابعين، أو حساباتٍ زائفة، أو الاعتماد على الترويج لقناتها عبر قنواتٍ أكثر شهرةً مقابل مبلغ مالي كبير.

لقد خلق مروان هذه الطفرة بالمحتوى الذي تقدمه، هذا المحتوى الذي غيَّر مضمونه بالتدريج؛ فهو يجيد اختيار المحتوى، وكتابة اسكريبت رائع يبدو عفويًّا صادقًا وغير مفتعل كما يفعل الكثيرون، عدَّل لوكيشين التصوير، واشترى كاميرات خاصة، مما جعل الصورة أجمل.

هو مَن صنع مِن حجرتها هذه استوديو صغيرًا، وجعلها تقنع والديها بهدم وإزالة الحائط الفاصل بين حجرتها وحجرة جومانا أختها التي تزوجت منذ عامين؛ لتستطيع تصميم ديكورات لخلفيات متعددة ثابتة، فهذا ركن يبدو كمكتبة حديثة التصميم ذات لونٍ أبيض ناصع،

تضم أحدث الكتب لأشهر الأدباء المعاصرين، وآخر على هيئة مكتبة عتيقة تضم أمهات الكتب في التراث والتفسير، ووضع أمامها مكتبًا تقليديًّا يشبه طراز الثمانينيات.

حين تصور في هذا اللوكيشين تقول إنها في المكتبة الخاصة بجدها الذي يسكن أحد الأحياء العريقة، ويعتز بمكتبته تلك وبشقته أيضًا، ولكنه يرفض التصوير فيها؛ هو فقط يسمح لها بالتصوير من مكتبته فهو يراها تراثًا وأثرًا يستحق الاحتفاء به، أما التصوير في شقته فهو خرقٌ لخصوصيته!

وركن آخر تضع فيه تسريحة أنيقة، لا تضع على سطحها منتجًا واحدًا إلا بعد أن تتقاضى مبلغًا من الشركة المنتجة له حتى لو لم تتحدث عنه؛ مجرد ظهوره إلى جوارها هو إعلانٌ لا بد من دفع مقابل له، وإلا فستستبدله بآخر، وتعدِّل من وضعيته بحيث لا يظهر اسم الشركة والمنتج.

وركن رابع وخامس وسادس، دريسينج روم، كنبة أنتريه صغيرة، مائدة طعامٍ صغيرة، أرجوحة بيضاء اللون ذات وسادة مزركشة بألوانٍ مبهجة، ركن يبدو كزاويةٍ للصلاة وضعت فيه حامل مصحف، وعدة أرفف رُصَّت عليها كتب تفسير القرآن وشرح الأحاديث، مكتب تجلس إليه وهي تتحدث عن الدبلومة التي ستتقدم للحصول عليها، وقد اتفقت مع المعهد الذي سيدفع لها مبلغًا ماليًّا مقابل هذا بالطبع.

مروان هو من جعل اسم جودي الجمال «براند»، هو من تواصل معها بعد عدة شهورٍ من بدء ظهورها على اليوتيوب، بعد وصول عدد

متابعيها لما يقارب خمسة وثلاثين ألف متابع، هو من عرض عليها العمل معها وإدارة كل مواقعها، وأخبرها أن كل المؤثرين المشهورين لديهم فريق يصنع هذا النجاح.

مروان هو من جعلها من نجوم السوشيال ميديا، وقفز عدد متابعيها ليصل لأكثر من مليون متابع، كانت كلما زاد عدد متابعيها وزادت أرباحها زاد توترها وعصبيتها، كلما أدركت أنها تقترب من حلمها بأن تصبح مذيعة معروفة، زاد خوفها، هل سيتحقق هذا الحلم وتعمل يومًا ما في إحدى القنوات الفضائية أم ستظل حبيسة تلك الغرفة وهذه الديكورات التي لا يعرفها سوى مرتادي وسائل السوشيال ميديا وليس جمهور الفضائيات الهائل؟

يحتمل مروان عصبيتها أحيانًا، لكنه معظم الوقت يرفض أن يُكمل الحوار معها، يتركها كي تهدأ، أو يذكرها بأنه غير مضطر لهذا، ويمكنه فسخ التعاقد معها في أي وقت يشاء. مروان شخصٌ عملي لأقصى الحدود، وشخصية مهنية بمعنى الكلمة، يجيد ما يفعله، بل ويتميز فيه، يعرف قيمة هذا، ورغم عروض كثيرة قُدمت له احترم تعاقده معها والتزم به، لكنه لن يحتمل أسلوبها كثيرًا، وهذا يزيد من توترها أكثر.

يتجنبها والداها في أوقات عصبيتها، يغفران لها؛ فهي بالأخير جودي الجميلة الطيبة الحنون، التي كانت دومًا مصدر البهجة والفرحة في المنزل، والتي طالما أمضيا جزءًا من وقتهما، ليلعبا معها، يقومان معها بدور ضيوف برنامجها الذي تقدمه من حجرتها القديمة، بعد أن تشرح لهما ما ستطرحه عليهما من أسئلة، كانت بالأمس

تلعب وتلهو، واليوم صارت اللعبة حلمًا، وها هي تسير خطوات جادة، خطوات مرهقة في الطريق إليه، خطوات تدفع ثمنها من وقتها وجهدها وروحها المرحة، يقدر والداها هذا ويدعمانها، ويغفران لها عصبيتها حينًا، وأحيانًا كثيرة يتجنبانها.

نادين تخبرها أن عصبيتها وتوترها -مع تصاعد شهرتها- صارا اضطرابًا يحتاج لطلب استشارة طبية لعلاجه في بداياته، ترفض ما تحدثها به نادين، تعاندها، وتجادلها في غضب وتوتر، فتستمع نادين إليها حتى تنتهي من حديثها وثورتها، وتمسك بيدها في احتواءٍ، وتنظر إلى عينيها قائلةً:

«تعرفين أنني أستطيع أن أحكي لكِ الكثير والكثير مما سيقنعك بوجهة نظري، لكني لا أريد أن أذكرك بما قد يزيد من غضبك وعصبيتك يا جودي، سأحدثك بعبارةٍ واحدة: أنا أفتقدكِ يا جودي، أريد صديقتي التى عرفتها منذ سنوات سبع، أرجوكِ ساعديني في البحث عنها وسط كل تلك الديكورات الكثيرة».

تنظر جودي حولها، تدير عينيها بالمكان، تشعر بالدوار وربما التشتت، تجلس على هذا المكتب الذي كان بالفعل مكتبها في المرحلة الثانوية والجامعية، والذي طالما شهد نادين وهي تعيد عليها مرارًا وتكرارًا شرح دروس الرياضيات التي كانت تتطاير قواعدها من ذهنها فور أن تغلق الكتاب، أو تغادر مركز الدروس الخصوصية.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والنصف حين وصلتها رسالة عبر الواتس آب، يخبرها مروان أن ترفع الفيديو الآن على القناة

بعدما أرسل إليها الفيديو بعد انتهاء أعمال المونتاج؛ فتستغل تلك الرسالة لتكتب له في سرعة:

«شكرًا يا مروان، أرجو ألا يكون حوارنا قد أغضبك».

صاغت الجملة دون كلمة اعتذار؛ فهي أبدًا لا تعتذر، ولا تعترف بخطأ، وهذا ما تحدثها نادين دومًا بضرورة تغييره، وأن تعترف أولًا بأهمية ثقافة الاعتذار، والتراجع عن الخطأ طالما لا يزال ممكنًا التراجع عنه، وأن تتسع نظرتها وألا تكون عنيدة ضيقة الأفق بينما هي دومًا لا تنظر أبعد من موضع قدميها، لذا لا تستطيع أن ترى نفسها مخطئةً، وتتشبث بآرائها حتى حين تتيقن من خطأ وجهة نظرها، تجادل وتعاند.

تشعر بشيءٍ من الإجهاد بعد أن سهرت بالأمس لتصور الفيديو لترسله لمروان ليقوم بعمل المونتاج، تقرر أن ترفع الفيديو، ثم تنام لساعة أو ساعتين، تستيقظ بعدها لتتابع ردود أفعال المتابعين، وتجيب عن أسئلتهم أو تعليقاتهم.

استلقت على فراشها الصغير وردي اللون، بعد أن رفعت الفيديو الأخير على قناتها في هذا التوقيت المناسب لحصد أكبر عدد مشاهداتٍ وتفاعلاتٍ في أقل وقت.

بعد عشرين دقيقةً من استلقائها على الفراش لتنام، بدأت عيناها في الاستسلام للنوم أخيرًا، بعد أن هدأت قليلًا تلك التروس التي لا تكُف عن الدوران في رأسها؛ لتوليد التساؤلات والمخاوف التي تطال كل شيءٍ في حياتها، عملها، صداقتها، والديها، وأي علاقةٍ عاطفية

تمر بها.

اهتزَّ هاتفها إلى جوارها بعد أن كانت قد شغلت وضعية الصمت، ورغم هذا النعاس الذي راح يحتل عينيها جعلها هاجسٌ ما جعلها تلتقط الهاتف في سرعة؛ لتقرأ على شاشته اسم نادين.

ترد بصوتٍ ناعس فتحدثها نادين:

- هل نمتِ يا جودي! هل هذا وقت للنوم؟

- لم أنم منذ ست وثلاثين ساعة، الأرق المعتاد قبل تصوير الحلقة.

تصمت قليلًا وكأنها تتردد في طلب شيءٍ ما منها؛ فتحثها جودي على الحديث:

- سأستيقظ بعد ساعتين، وأبقى on line كي أتابع الـfeedback، ما رأيك أن نلتقي عصرًا لنتناول الغداء معًا؟

من جديدٍ، يسود الصمتُ المكالمة، تشعر جودي بشيءٍ ما لا تعرفه، ولا تنجح في استنتاجه فتعتدلُ في الفراش وتسألها في اهتمام:

- ماذا هناك يا نادين؟

تسمع صوتها، وهي تتنهد في ضيقٍ:

- لقد اتصل بي كريم لثالث مرة أمس من رقم آخر، يريد أن أسمح له بالمرور عليّ، لنذهب لنتحدث لمرة أخيرة.

تصمت لحظةً، ثم تضيف في حيرة:

- كنت أحتاج أن تكوني معي.

- لو أنكِ وافقتِ على الفكرة نفسها، فلا داعي لوجودي معك.

وتضيف بعد لحظةٍ من الصمت تعمدتها:

- وهل وافقتِ يا نادين؟

هذا الصمت الذي طال جعل جودي تدرك أن نادين لم تحسم رأيها بعد؛ فسألتها في اهتمام:

- نادين، هل أنتِ خائفة أم قلقة؟

- لا أعرف يا جودي، أنا مرتبكة.

قالتها في حيرةٍ، ثم أردفت:

- أريد أن أطمئن عليه، لا أكثر.

- اطمئني يا نادين، كريم شخصية متزنة وعملية، من المؤكد أنه الآن، وبعد كل هذا الوقت، قد تفهَّم الأمر وتقبله؛ لا داعي للقلق، ربما يود الحديث إليكِ عن أمرٍ آخر.

- ربما، ففي حياته الكثير مما يستحق الحديث عنه.

قالتها في شرودٍ، ثم حاولت أن تعود للهجتها المرحة:

- فلتنامي الآن، ينتظركfeedback رائع ومجهد؛ الفيديو وصل لسبعين ألف مشاهدة في أقل من نصف الساعة يا نجمة.

تبتهج لعبارتها وتعود لتستلقي على فراشها، وتستسلم للنوم في سرعةٍ عجيبة، بعد أن طردت عبارة نادين جزءًا كبيرًا من هواجسها،

وهدأت تروس عقلها التي لا تهدأ ولا تكف عن الدوران لإنتاج المزيد من التوتر والقلق.

***

تقرر الاتصال بنادين فور استيقاظها، لكنها تكتشف أن هاتفها قد نفدت طاقة بطاريته، تغادر فراشها في كسلٍ لتبحث عن الشاحن وتوصل الهاتف به.

قبل أن تمر نصف ساعة كانت قد ارتدت ملابسها، وبسرعةٍ تحسد عليها، وفي دقائق معدودة ألصقت رموشًا صناعية، وخطت من قبلهما محدد العيون والكحل بعد أن وضعت طبقةً خفيفةً من كريم الأساس الذي وزعته على بشرة وجهها بالكامل لتمنحها لونًا موحدًا، أتبعته بحمرة خدودٍ ما بين اللون الوردي والبرتقالي يتناسب مع لون ظل الجفون الذي اختارته، ويتناقض مع هذه الدرجة الأكثر ميلًا للون البني على شفتيها.

منذ شهورٍ لم تكن من عاداتها الخروج بكامل زينتها، كانت تستعمل مجرد حمرة شفاه خفيفة ومحدد عيون ولا غير، لكنها الآن بعد أن صارت شخصيةً مؤثرةً يعرفها الكثيرون، ويطلبون أن يلتقطوا صورًا معها، صار عليها أن تبدو دومًا شبيهةً بتلك الهيئة التي تظهر بها على قناتها، أن تحافظ على ابتسامتها، أن تبدو دومًا مرحبةً ودودةً بكل من يعرفها، لا شيء بلا مقابل وبلا ثمن، تعرف تلك الحقيقة وتتقبلها أو تحاول تقبلها.

فصلت الهاتف عن الشاحن وقامت بتشغيله، اتصلت بنادين فلم

ترد؛ فأرسلت لها على الواتس آب تخبرها أنها استيقظت وفي انتظار مكالمتها.

جلست أمام مكتبها، وضعت أمامها تلك المفكرة الصغيرة التي تسجل فيها بعض الملحوظات عن متابعيها وأسئلتهم بعد أن ترد عليها، أو ترسل رمز قلبٍ كتعليق استحسانٍ لما كُتب لها، كانت هذه إرشادات مروان لها، ألا تتأخر في الرد، وألا تتجاهل أي تعليق.

راحت أصابعُها تتسارع على شاشة هاتفها الخلوي، تتصفحُ كل المواقع الشهيرة، وتقرأ عناوين مقاطع الفيديوهات الأشهر، وقبل أن تدخل قناتها يفاجئها هذا الهاشتاج:

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

وخلفه عددٌ من الهاشتاجات الأخرى التي حملت اسميهما مقترنين بكلماتٍ أخرى:

#نادين_وكريم_من_الحب_ما_قتل

#نادين_وكريم_الحب_القاتل

#كريم_ينتحر_ويقتل_حبيبته_نادين

#نادين_صديقة_جودي_الجمال_قاتلة

لكن الأكثر رواجًا هو هذا الذي يحمل كلمات: حادثة، وقتل، وانتحار.

راحت تمرر عينيها في سرعةٍ على سطور أول خبر، ضغطت على

عنوانه، هذا الخبر الذي ما إن رأته اهتزت الأرض تحت قدميها، وتلاشت كل الموجودات حولها، فلم تعد تبصر أي شيءٍ حولها سوى تلك الصورة على شاشة هاتفها في نهاية هذا الخبر؛ صورة «نادين» نفس الصورة التي وضعتها على حسابها الشخصي على الفيسبوك، وإلى جوارها صورة كريم المأخوذة أيضًا من صفحته.

تتراجع برأسها في ذهولٍ محدقةً في لا شيء أمامها، ليسقط الهاتف من يدها فيصطدم بحافة سطح مكتبها، ومنها إلى أرضية الغرفة محدثًا صوت ارتطامٍ قوي، لا تسمعه ولا تعي أي شيء، وفي ذهنها تلك العبارة التي ساقها الخبر في سطوره الأخيرة، ليؤكد لها أنها هي «نادين» من يقصدها الخبر.

«ومن المعروف أن نادين رأفت هي الصديقة المقربة لـجودي الجمال، مقدمة محتوى على قناة «هي كده»، وصاحبة واحدة من أكثر الصفحات رواجًا على الفيسبوك».

تزم شفتيها وتغمض عينيها وهي ترمي برأسها بين كفيها على سطح المكتب، لتتساقط دموعها وهي تهز رأسها غير مستوعبة، صارخةً باسم «نادين» لتسمع والدتها صرختها؛ فتجري إليها في لهفةٍ وخوفٍ، تنظر إليها وهي تهز رأسها في ذهولٍ مختلطٍ بدموعها، وتغمغم بصوتٍ مكتوم غارقٍ في اللوم والأنين:

- ليتني كنت معكِ، سامحيني يا نادين، سامحيني!

***

4

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

ثلاث سيدات وفتاة في سيارة واحدة

غادة حسين الصاوي

(غادة، تلك التي تقود السيارة في صمت، تحاول عبره السيطرة على دموعها، وعلى عجلة القيادة بيدين مرتعشتين، ونظرة زائغة تجعلها تنحرف حينًا ثم تعود لتستقيم في طريقها، لم تُخف تلك الدموع جمالها الساحر، وعينيها اللتين امتزجت زرقتهما بحمرة الدموع التي لم تجف. يفصلها عن الأربعين عام أو أكثر، يليق مظهرها بهذه السيارة الحديثة العصرية التي تقودها، نضرة البشرة، ورشيقة القوام، تهتم بأنوثتها، يبدو هذا واضحًا في كل تفاصيلها بدءًا بلون صبغة شعرها واهتمامها بتصفيفه، وأظافرها وطلائها الذي تهتم به، وتنتقي له أغلى الماركات مثل كل ما تستعمله من مستحضرات تجميل، تداوم عليها لتحافظ على جمالها، ونضارة بشرتها وشبابها.

تُغالب دموعها كل محاولاتها للتماسك، تنسالُ بلا إرادة منها، فتتشوش الصورة أمامها، وتكاد تصطدم بسيارة أمامها، فتسرع بالضغط على دواسة الفرامل، ثم تعود بعد لحظات لنفس السرعة لتصل للمشفى).

غادة حسين الصاوي

ساعات قبل الهاشتاج

لم تستمع غادة إلى شيرين التي راحت تشرح لها جدول العاملات في المركز، وما يطلبن من إجازاتٍ، وجدول الشهر للصيانة الدورية للأجهزة التي تسير وفق جدول مسبق، وبعض التغييرات في جدول الأطباء.

كانت منشغلة عنها بتلك الرسالة التي قرأت أولى كلماتها صباحًا في هاتف زوجها، وقد تركه كعادته على الكومود إلى جوار الفراش بينما كان يغتسل لكنها لم تستطع فتحه؛ فهي لا تعرف كلمة السر.

تلك الكلمات التي لم تفارق عينيها، والتي صنعت حاجزًا بينها وبين كل ما يدور حولها منذ بدء اليوم، ردت على كثيرٍ من المكالمات بذهنٍ مشغول، وبكلماتٍ حيادية أو تسويفية فيما يخص عملها، وحين سألتها نادين صباحًا أن تتحدث إليها قليلًا، سألتها أن تؤجل هذا الحديث للمساء، وغادرتها في سرعةٍ، لا تقصد جهةً محددةً.

كل ما كانت تحتاجه أن تغادر، أن تتحرك، ألا تبقى هكذا ساكنةً كتمثالٍ في حديقة الفيلا، بلا شيء تفعله سوى التحديق في تلك الشجرة الصغيرة التي غرست نادين جذورها بنفسها مع يونس في أول يومٍ لها بالفيلا، وهي لا تزال بعد في االخامسة عشرة من عمرها.

قادت سيارتها بلا وجهةٍ معينة، راحت تلف أرجاء الكومباوند بسيارتها، حتى قررت أخيرًا أن تتجه إلى المركز؛ لتتخلص من تلك المكالمات التي تلاحقها بها شيرين كل خمس دقائق، وكأنها ساعة تنبيه هاتف ضبطتها لترن كل عشر دقائق لإيقاظها، وها هي أمامها،

تُعيد عليها كل ما حدّثتها به من قبل في مكالماتها المتكررة قبل حضورها.

تتطلع إلى شيرين بنظرةٍ يملؤها الملل ونفاد الصبر، وتسألها بعد أن صمتت أخيرًا:

- شيرين، أرجو بعد هذا أن تنتقي المواضيع التي يجب أن تعرضيها علَيّ، هناك أشياء يمكن تأجيلها حتى أحضر فهي ليست عاجلة، وهناك أمورٌ أكثر أهميةً من أن تناقش هاتفيًا، وبالأخير هناك دكتور هيثم؛ يمكنك الرجوع إليه في كل ما يخص التجهيزات والمستلزمات الطبية.

تومئ شيرين برأسها في اعتذارٍ وهي تتمتم:

- آسفة يا افندم.

تسألها غادة أن تنصرف، وألا تعود إليها قبل أن تنتهي من شرب قهوتها، وتطلب حضورها.

لا تتذكر شيئًا مما أعادت شيرين قوله، لم تهتم، أو لم تستطع أن تهتم، كانت تلك الرسالة اللعينة لا تزال تشغل بالها؛ طوال سنوات زواجها من يونس، لا شيء هز ثقتها به.

جاء زواجهما بعد سنوات من الصبر والكفاح، كلاهما يتمسك بالآخر لكن عائلة يونس ترفض، ورغم هذا لم ييأس أحدهما وصمدا لسنوات، حتى تم لهما ما أرادا، وبمواقفة أهل يونس، بل ومباركتهم، بعد أن أدركوا أن فارق المستوى المادي والاجتماعي بينهما ليس هو

الأهم، بعدما كافح يونس وغادة لصنع نجاح يخصهما وحدهما، دون الاعتماد على منصب أو ثروة والده.

مرت السنوات الأولى من قصتهما وعمله ونجاحه هما أولويته الأولى، كانت تسانده، وتدعمه؛ تركت عملها الحكومي الثابت وعملت مساعدة له، وتزوجا بعد استقرار شركته، فعرض عليها أن تستقل بمشروع يخصها، لتصنع نجاحًا يخصها وحدها، وبالفعل درست ما ينقص هذا المجمع السكني من خدمات، واختارت أن تفتتح مركزًا للعلاج الطبيعي وجلسات التخسيس، وأدارته بنجاح، وبمساعدة د.هيثم كمدير رسمي للمركز أمام المنطقة الطبية، ومسؤول عن العيادات به.

تمسك بقدح القهوة الذي وضعته أمامها شيرين في صمت ثم غادرت الغرفة، ترتشف منه وهي تحاول أن تخرج عبر أنفاسها كل طاقتها الغاضبة كما علّمتها نادين؛ لتستطيع التفكير بهدوء. نادين تعشق اليوجا، وهي جزءٌ من روتينها الأسبوعي، مع ما تواظب على حضوره من «كلاسيز» في «الجيم»؛ وكم حاولت إقناعها أن تحضر معها لكنها صارت دومًا مشغولة بالمركز، ومسؤولياته.

حين توفي والد غادة وهي بعد في الثامنة عشرة، لم تنتقل لتعيش مع أختها، فعلت لعدة أيام، لكنها سرعان ما عادت لبيت والدها مصطحبة نادين التي كانت حينها في الخامسة من عمرها، لتقضي معها شهور الصيف كله، وتمنحها وقتها وحنانها، ولمحات من شخصيتها التي تسربت إليها، ثم تعود إليها لتقيم معها بصفة دائمة بعد وفاة رأفت زوج أختها، ومرور عام وأكثر، لتتزوج أمينة عماد

جارها، كانت ترى الصغيرة قد كبرت، أدركت هذا من ملامحها، ذكائها، وحكمتها أحيانًا، كهدوئها وتريُّثها في التعامل مع أي اختيارٍ يواجهها، هي لا تتسرع في إجابة أي سؤال، دومًا تأخذ ما تحتاجه من وقتٍ للتفكير والتحقق من رجاحة رأيها، دومًا تأخذ ما تحتاجه من وقتٍ للتفكير والتحقق من رجاحة رأيها، ربما ورثت هذا عن والدها -رحمه الله- وأستاذها الذي تعلمت على يديه الكثير، وربما هي اكتسبت منها شيئًا من طباعها.

تُرى ما هذا القلق الذي قرأته في عيني نادين صباحًا؟ هناك شيءٌ ما هي في طريقها لاتخاذ قرارٍ بشأنه لكنه أمرٌ عاجل؛ ولذا كانت قلقةً متوترةً على غير عادتها، هل كان أمرًا يخص عمل جديد أم إخوتها أم شخص ما آخر؟ لم تستطع أن تستمع إليها بذهن صاف فأجلت الحديث؛ كان كل ما يشغل بالها هو يونس؟!

هل ستحتمل ألا تواجهه؟ ألا تسأله من تلك التي ترسل له في الصباح عدة قلوبٍ حمراء، وعبارة لم تقرأ منها سوى «المفاجأة في انتظارك» ولِمَ لم يكن الرقم مسجلًا لديه بأي اسم؟ لَمْ يسعفها الوقت لتسجيل الرقم لتحاول معرفة هوية صاحبته، وبلا شك سيحذف يونس الرسالة بعد قراءتها.

تدمع عيناها ويضيق قلبها بحمله، وهي لا تصدق أنها الآن وبعد هذه السنوات تجلس لتشغلها فكرة كتلك؛ تقرر هل تواجهه أم لا! تغمض عينيها في محاولةٍ منها لطرد هذا التوتر والغضب عنها، نعم هي غضبى، غضبى لأنها لم تسأله مباشرةً وفورًا.

يحدثها عقلها أن تغادر إليه؛ إلى يونس، نعم، هي لا تستطيع أن تصبر أكثر من هذا، لا تحتمل أن تمر دقائق أخرى ويونس هناك بعيدٌ عنها، ربما يتحدث إلى تلك الأخرى أو يكتب لها، أو يفكر في تلك المفاجأة التي أعدتها له، تشعر بنارٍ تحرق قلبها والدموع تنهمر من عينيها دون أن تدري، وتغمغم كأنه أمامها:

« كيف؟! كيف فعلت هذا يا يونس؟!

كيف استطعت أن تمنح مساحةً في حياتك وقلبك لأنثى غيري؟! حتى لو كانت مساحةً مؤقتةً! أو مساحةً صغيرةً منحتها لها في الخفاء وستستعيدها ثانيةً!».

«هوني على نفسك يا افندم».

تسمعها فترفع رأسها إليها، تتناول منديلًا ورقيًا من العلبة الموضوعة على سطح مكتبها وقد انتبهت لدموعها وسط تفاجؤها لوقوف شيرين أمامها، مما جعلها تحاول أن تعود لطبيعتها وهي تسألها في شيءٍ من الغضب، وربما هو الحرج الذي أخرجته في صورةٍ أخرى كعادتها في إخفاء ردود أفعالها أحيانًا والالتفاف حولها:

- ماذا تريدين يا شيرين الآن؟ ألم أطلب منكِ...

تتراجع لهجتها الغاضبة أمام دموع شيرين التي تحاول أن توقفها، وهي تقول بحروفٍ باكية:

- ألن تذهبي لرؤيتها؟

- رؤية مَن؟!

تنطقها في تساؤل وحيرةٍ، لتدرك شيرين أنها لم تعرف الخبر بعد؛ مما جعلها ترتبك وهي تحاول اختيار كلماتها، فيطول صمتها الباكي الذي تشبع بحيرتها؛ ليزيد هذا من حنق غادة، هذا الانفعال الذي حاولت السيطرة عليه وهي تنهض لتقف بجوار شيرين محاولة تهدئتها، واحتواء حالة الانهيار التي تراها عليها حتى تعرف ما بها، كتمت غضبها، وحوّلته للهجةٍ هادئةٍ وهي تسألها في هدوءٍ:

- فلتحدثيني يا شيرين، ماذا هناك؟

تنظر شيرين إليها وقلبها يرتجف ارتجافةً انتقلت لجسدها كله وحروف كلماتها، وهي ترفع بصرها إلى غادة بنظرةٍ ملؤها الشفقة والألم وتنطق في بطءٍ وترقب:

- نادين!

- ماذا عنها يا شيرين؟ هل اتصلت بي؟!

حاولت شيرين أن تصوغ لها الأمر بكلماتٍ غير موجعة وألا تصدمها، لكنها لم تستطع؛ فمدت يدها إلى جيب الجاكت الذي ترتديه، أخرجت هاتفها المحمول الذي تحمل شاشته هذا الهاشتاج، وأعلاه صورة نادين وصورة كريم.

أمسكت بالهاتف بيدها وهي تقرأ ما كُتب بعينين ذاهلتين، لا تصدق أن هذه هي نادين، وأن هذا الخبر عنها، تعيد قراءة الخبر وتدقق في تلك الصورة لكنها لا تصدق، لا تستوعب ما قرأت، تهمس في صدمة: نادين!

تمر لحظات وهي ممسكة بالهاتف محدقة فيه، تحترم شيرين صمتها، عينها وهي شاردة تستعيد شيئًا ما في ذاكرتها، ثم تنهار على المقعد خلفها وهي تضم جبهتها بين أصابعها وتتساءل في ندم:

- ما الذي جعلها تلتقي به من جديد؟! ليتني استمعت إليها اليوم، ليتني تحدثت معها، أنا السبب.. أنا السبب.

***

الفصل الثاني
وفي ناحية أخرى من القاهرة
1

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

بيت كريم محمود

ساعات قبل الهاشتاج

إحسان عبد المنعم الصافي

تقف في المطبخ، هذا المطبخ الجميل الذي تحبه كثيرًا؛ لأنه كان هدية كريم لها منذ عامين، حين صمم في عيد الأم أن يستبدل مطبخها الخشبي القديم بواحدٍ أحدث، وصمم أن تذهب معه لتختار اللون والتصميم الذي تفضله، هذا المطبخ الذي قسَّط ثمنه على ستة عشر شهرًا، لكنه كان فرحًا به أكثر منها وهو يقف ليتابع العمال وهم يقومون بتركيبه، ثم يسألها بعد انصرافهم: «هل أعجبك يا أمي؟».

تسمع صوت الباب يغلق، تعرف أن كريم من انصرف الآن، انصرف دون أن يودعها بكلماته الحانية، وسؤاله لها: «أراضية عني يا أمي؟» لتنظر إليه في رضا، ويلثم يدها وابتسامته الحلوة تزين وجهه الكريم مثله، نعم، هي ترى في وجهه الكرم مثل اسمه، تراه في خلقه، في تعاملاته، في حب الناس له؛ فتفرح به. ويقول لها:

«بخير أنا، طالما أنت راضية عني يا ست الكل». ثم ينصرف.

أما اليوم فها هو يغادر دون سؤال، دون وداع، ودون أن يسمع دعواتها له!

قلبها يحدثها بأنه قد عرف، تشعر بهذا في نظراته الصامتة لها؛ نظراته التي تسأل، تلوم، تعاتب، ولا تنطق شفتاه، منذ شهور، ربما بعدما انتهت قصته مع تلك الفتاة ذات العينين الزرقاوين.

ترى هل قصته معها هي ما جعلته يريد النبش في الماضي؟

ترى، هل راح يبحث عن أصل عائلته ليعرف هل من إرث لديهم؟

ترى، هل تذكر زيارة من يحسبه عمه ونظراته الجافة له فبحث عنه ووصل إليه وعرف كل شيء؟!

أم أنه هو من جاء إليه ليحدثه عنها؟ وعما حدث منذ سنوات تعادل سنوات عمره!

أيًّا كان ما حدث، فلقد عرف!

قلبها يحدثها بهذا، وخوفها من مواجهته يحبس داخلها السؤال «ماذا بك يا بني؟».

صار أكثر شرودًا، وأقل حديثًا، قلت أوقات تواجده بالمنزل، وكأنه يهرب من المكان الذي يجمعهما، يتجنب طلب أي شيء منها، أو حتى الجلوس معها على مائدة الطعام، وما يحزنها أنه لم يعد يقرأ القرآن ليلًا ويراجع ما يحفظ، كما كان يفعل دومًا، تلك العادة التي ساعدته في اكتسابها منذ الصغر، منذ كانت تصحبه لدروس تحفيظ القرآن بالمسجد طوال العام، وحين يتعذر هذا تسأله أن يراجع ما حفظ،

تُرى، أما زال يواظب على الصلاة بالمسجد أم لا؟!

وتلك الأموال التي صار ينفقها بلا حساب، هذا المحل الذي تتحدث عنه جميلة أخته، وهي تظن أنها تعرف أنه افتتحه!

وهذه السيارة التي كان يقودها حين اصطحب إخوته للتنزه مساء في أحد المولات، لتعرف بخبر شرائه سيارة من إخوته. لتسأل نفسها في خوف وقلق:

من أين لك بهذه الأموال يا كريم؟

ماذا تفعل يا بني؟ إما أن تعود متأخرًا أو تبقى لأوقات طويلة في حجرتك وحدك؟

ومن أين لك بقسوة قلبك على صديقك الذي هو بمثابة أخ لك؟ هل علمتك القسوة يا كريم؟

هل كنت قاسية متعنتةً معك أو مع إخوتك؟

هل حرمتك يومًا محبتي وحناني؟ هل قصرت في رعايتي لك وتنشئتك؟

هل شعرت يومًا بغير أنك أغلى من عمري نفسه؟

«لك الله يا ولدي، فليخفف عنك! إن كنت قد عرفت».

تتمتم بها وقلبها يشعر بوجع لا دواء له، وروحها تئن وهي تدعو الله أن يغفر لها، وألا يريها مكروهًا في كريم، وأن يلين قلبه لها، ويعيده إليها سالمًا راضيًا كما كان دومًا.

ترتعش يدها وتشعر بشيء من الدوار، ولكنها تحاول التغافل عن كل هذا وتنادي جميلة، لتخبرها عن مكان الحبَّهان، فكريم يفضل مذاقه في شوربة الدجاج.

2

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

بيت كريم محمود

ساعات قبل الهاشتاج

جميلة محمود الشناوي

تمسك بهذا الهاتف وتتلفت حولها في حذر، تتجه إلى غرفة أخيها كريم، تلك أصبحت مزدحمة بعدد من الشاشاب وأجهزة اللاب توب والتي لم تكن هكذا منذ شهور، تدخلها وتغلق الباب خلفها، ثم تطلب رقمًا غير مسجلٍّ على الهاتف، والذي يجيب في سرعةٍ، فتستمع له للحظاتٍ ثم تسأله:

- ما زلت مصممًا على القدوم؟

يجيبها بعد لحظةٍ، وكأنه يبحث عن إجابةٍ مناسبة أو صيغةٍ مناسبة:

- ليس من أجلنا هذه المرة؟

- مِن أجل مَن إذًا؟

يصمت لحظة، لا يجيبها، بل يسألها في قلق:

- أما زال يتأخر في العودة ليلًا للمنزل؟

تجيبه في سرعة:

- نعم، ولا يزال يحرمني من موبايلى الـ smart؛ حتى لا نتواصل، وتعمد عدم دفع اشتراك الإنترنت المنزلي أيضًا.

تسمعه يهمس في قلق:

- كل هذا لا يهم الآن.

لا تفهم ما يعنيه، فتسأله همسًا:

- ماذا تقول يا سعيد؟ أنا لا أسمعك.

- لا شيء، فقط انتظريني بعد قليل، لا بد أن أتحدث إلى والدتك.

تغادر الحجرة في حذرٍ؛ كيلا تسمعها والدتها المنشغلة في المطبخ، أو أي من أختيها الجالستين أمام شاشة التلفاز تتابعان أحد تلك المسلسلات الكورية، التي لا تعرف من أين لهما بعقلٍ يسع أحداث كل تلك الحلقات!

تحدثها إحداهما بلا اهتمامٍ وهي تعبر من أمامها لتعود لحجرتها:

- لقد نادتك ماما مرتين.

لا تعلق جميلة، تتجه للمطبخ، ولا يزال ذهنها يستعيد حوارها الهامس مع سعيد، لم تبد فرحةٌ منه لسماع صوتها، وهي التي لم تحادثه منذ أربعة أيامٍ، لم يسألها عن حالها، فور أن استقبل الاتصال أخبرها أنه سيأتي للحديث مع والدتها، قالها في سرعةٍ، ما الذي يعنيه بعبارته «ليس من أجلنا؟!».

تلتفت إليها والدتها، وتسألها عن مكان الحبَّهان، فتخرجه لها من

أحد الأدراج، تنظر إليها أمها في تساؤل:

- ناديتك أكثر من مرة، ماذا بكِ يا جميلة؟

- لا شيء يا أمي، أنا بخير، هل أساعدك في شيء؟

تبتسم لها في امتنان، وتسألها أن تعود لحجرتها، لتستذكر محاضراتها، وتتابع أختيها من حين لآخر.

تغادرها لتذهب إلى حجرتها، وما زالت في حيرةٍ من حديث سعيد، تنظر لهذه الصورة التي تضعها على سطح مكتبها، صورة تجمعهن مع كريم، في إحدى الحدائق العامة.

تتأمل الصورة، وفي داخلها تتساءل في خوفٍ: «ماذا بك يا كريم؟ صرت غامضًا منذ فترة، تغيرت نظرتك لأمك ولي، وربما لكل شيء! صارت الأموال موجودة، ولكنك غائب رغم وجودك! ماذا بك يا كريم؟!».

هذا الهاجس الذي بدأ يراودها منذ عدة أيامٍ، ويشغلها كلما جلست وحدها، شيء ما يحدثها عن كريم يجعلها قلقةً بشأنه، نظرة في عينيه تحتضنها وتربّت على قلبها كلما التقت أعينهما، يتحاشى الحديث إلى والدتهما، ينظر إليها في تساؤل صامت لا ينطق به.

إحساس غامض حثها أن تدخل غرفته بعد أن استعد للخروج صباحًا لتسأله في اهتمامٍ صادق وبلهجةٍ حانية، وبابتسامةٍ حرمته منها منذ رفض طلب سعيد صديقه للتقدم لخطبتها:

- هل ننتظرك لتتناول معنا الغداء؟

نظر إليها طويلًا وكأنه يراها لأول مرة أو يودعها، تأمل كل ملامحها الجميلة كاسمها، ابتسم ابتسامةً حزينةً، لم يجب سؤالها وقال:

- تذكري أنني من اخترت لكِ اسمك، وهكذا دومًا أراكِ، جميلة.

أربكتها عبارته، خفضت رأسها أرضًا وحدثته:

- أعرف يا أخي، حفظك الله لنا.

لا يعلق على عبارتها، ويقول:

- لقد تركت ليسر ويمنى ألفي جنيه، لتخرجن بعد الغداء لشراء ما يلزم من ملابس منزلية جديدة فقد اقترب شهر رمضان.

تسأله في دهشة:

- ولمَ لا تذهب معنا ككل مرة؟! أليست عادتك أن تشتري معنا ملابس للمنزل قبل رمضان لنفرح معًا؟

- فلتحاولن الاختيار وحدكن.

تنظر له في شيءٍ من اللوم أو الدهشة ربما:

- وهل ستظل واثقًا في اختياراتنا دومًا؟

يدرك ما تعنيه؛ فلا يعلق، يغادر الحجرة فتتبعه حتى باب الشقة، فيلتفت لها بعد أن يفتح الباب ويقول:

- أنا أثق بكِ يا جميلة، كوني دومًا على قدر تلك الثقة، وقدر ما سيواجهك من مسؤوليات.

هي تعي ما يقصد، ولكنها لا تعرف لم هذه الكلمات الآن! لا تناقشه، تخفض رأسها في حيرةٍ وتردد لكنها لا تنطق، تسمع الباب يُغلق من خلفه، تشعر أن هناك شيئًا ليس على ما يرام به، تقرر أن تتحدث إليه حين يعود، فلا شيء ولا أحد سيصنع حاجزًا بينها وبينه، هو كريم أخوها، وصديقها، وأستاذها، هو من علمها ركوب الدراجة، وأول من اشترى لها كتابًا في الصيف، وهو من عاقب هذا الصبي الذي تعمد عرقلتها أثناء جريها في الفسحة بالمدرسة مع زميلاتها، وهو سندها، ربما أعجبت بسعيد ووافقت عليه حين تقدم لخطبتها لأنه يشبهه؛ لأنه صديقه الذي طالما امتدح خلقه وشخصيته، لكنه فاجأها برفضه التام والقاطع منذ أسابيع، ودون مبررٍ واضح للرفض سوى تلك الجملة التي قالها اليوم: «أريد لكِ الأفضل».

تمسك بالبرواز بين يديها، تدقق في ملامح كريم، تراه دومًا الأكثر وسامةً، والأكثر رجولةً، ليس لتلك الملامح الهادئة، والعينين اللتين يتأرجح لونهما بين البني الفاتح والأخضر الداكن، ولا هذا الشعر الناعم الذي يحيط بوجهه ليزيده جاذبيةً ووسامةً، ولا هذه البشرة البيضاء النقية؛ إنه جمال الروح، هذا الذي يضفي عليه وسامةً، ويحيطه بهالةٍ من الطيبة والنقاء تجعلُ من يراه يثق به، يرتاح للحديثِ معها، ويستمع له في شغفٍ واهتمامٍ.

كانت تتمنى شيئًا من جمال ملامحه تلك التي ورثها عن والدتها، لكنها ورثت ملامح والدها؛ الأنف الذي يميل للكبر بعض الشيء، والعيون السوداء، والبشرة القمحية، وهذا الشعر الأسود الذي لا يمكن وصفه بأنه ناعم منسدل، لم ترَ نفسها جميلة كما أسموها! لم تصدق

هذه الجملة من كل من ذكروها لها، إلا كريم.

ما زالت تذكر هذا اليوم، حين خرجت من المدرسة باكيةً وقد نعتتها زميلتها بذات الشعر الخشن، كان كريم في انتظارها ليسيرا معًا للمنزل. نظر إليها في جزعٍ وخوفٍ وسألها:

- ماذا بكِ؟

ظلت صامتةً طوال الطريق، لم تتحدث إلا بعد أن وصلا المنزل، وما إن روت له الحكاية، ابتسم لها ثم ضحك قائلًا:

- ألم تسألي نفسكِ لم فعلت هذا؟!

وصمت لحظاتٍ، ثم حدّثها في هدوءٍ:

- إنها تغار منكِ يا جميلة؛ لأنكِ جميلة بالفعل، الكل يحبك، المدرسون، وزملاؤك، ومشرفة المكتبة، وحتى مس إيمان مشرفة الإذاعة تختارُكِ دومًا، لو لم تكوني بالفعل جميلة ولبقة ما اختارتك لتقديم فقرات الإذاعة، وما غارت منكِ تلك الفتاة، لأنها تشعر أنها أقل شأنًا منكِ.

ثم راح يحدثها، بل ويؤكد لها أنها ستكون أكثر جمالًا بعد عدة سنوات؛ ستتغير ملامحها قليلًا، وستتغير طبيعة خصلات شعرها، ويتغير جسدها النحيف لتصير أميرةً جميلة تثير إعجاب كل من تعبر جواره؛ كانت حينها في المرحلة الابتدائية، أقنعتها كلماته، وابتسمت له، ربما صدقته، وربما فقط فرحت لكلماته، لكنها رأت صدق كلماته، بل ولمستها بنفسها بعد فترة وهي تلمح نظرات إعجاب حولها هنا

وهناك وهي على أعتاب المرحلة الثانوية.

تذكر منذ سنوات، حين رآها محجبة لأول مرة، كانت ترتدي حجابًا ذا لونٍ وردي على بلوزة بيضاء اللون، أعلى تنورة واسعة، ذات رسوماتٍ لوردٍ صغيرة مبهجة الألوان، ابتسم لها في شيء من الفرحة وحدثها بأن حجابها زادها جمالًا.

كل عباراته تبث فيها الثقة والاعتداد بذاتها وشخصيتها، وكل مواقفه كانت تشعرها بالأمان والطمأنينة.

ارتفع صوت رنين جرس الشقة، لتغادر ذكرياتها وتعيد البرواز إلى مكانه وهي تسمع صوت يسر تقول:

- إنه أبيه سعيد يا ماما.

فتستدير لترتدي إسدال الصلاة فوق ملابسها المنزلية، وتغادر الحجرة لترى والدتها تقفُ بالقرب من الباب، ترحب به وتدعوه للدخول.

3

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

ساعات قبل الهاشتاج

قريبًا من منزل كريم

سعيد عبد المقصود سعيد

يغادر سعيد حجرته في تردد وشرودٍ؛ ليجد أخاه جالسًا في الصالة، ينظر إليه في اهتمامٍ وهو يسأله:

- هل تريد أن أكون معك؟

لا يرد، يسأله في شرود:

- هل جربت الاتصال به ثانية؟

يهز عماد رأسه في يأسٍ:

- غير متاح، وربما يكون هو من فعّل هذه الخاصية!

يتنهد سعيد في يأسٍ:

- أخشى على تلك السيدة الطيبة، ولا أجد من أحدثه إلا هي.

- مهمة صعبة لكن كريم يستحق، سيوفقك الله.

يغادر سعيد الشقة مرتبك الخطوات، مشتت الأفكار، لا يصدق ما هو ذاهبٌ للحديث عنه مع تلك السيدة الرائعة، هذه السيدة التي طالما غمرتهم بحنانها وعطفها، ومنحتهم من اهتمامها الصادق

الكثير، هي من ربَّتت على كتفه، واحتضنته ابتسامتها الصادقة حين بكى أمامها بعد حصوله على هذا المجموع الهزيل من الدرجات في امتحان الشهادة الإعدادية، وهو ما لم تفعله أمه التي ما زالت تعايره بهذا الفشل، وتندهش من استمرار كريم ومنير في معرفته، وكلٌّ منهما ناجح ومصدر فخرٍ لأهله وأسرته، بينما هو شخصٌ فاشل.

هذه السيدة -التي يعرف أن كريم هو سندها الوحيد في هذه الحياة القاسية- كانت دومًا ترحب به هو ومنير في أي وقتٍ، تقدم لهما بكل كرمٍ ما يجود به بيتها، وما كان يشبعهما ولو كان قليلًا، تحثهما على الاستذكار والصلاة في الجامع، والمداومة على قراءة القرآن في شهر رمضان، وتدعو لهما قبل كل امتحان.

هل تعرفُ هي ما سيخبره به؟

هل تتصور أن كريم قد انزلقت قدماه لهذا الطريق؟ وهي التي كانت تدعو لثلاثتهم دومًا أن يحفظهم الله من كل سوء!

هل لاحظت هذا التغير في سلوكياته وطباعه ومن يرافقهم في هذه الفترة الأخيرة؟

تدمع عيناه وهو يصعد أولى درجات السلم ويرى ثلاثتهم -هو وكريم ومنير- جالسين حول بنك الحظ يتشاجرون، ويتعالى صوتهم في حدةٍ، وكأنهم تجار اختلفوا على صفقةٍ بالآلاف، ثم ينفجرون في الضحك حين يتذكرون أنها مجرد لعبة، وأن ما يمسكونه مجرد أوراق لا نقود حقيقية! طفولة ومراهقة لم يفترقوا فيها أبدًا رغم اختلافاتهم الواضحة للعيان؛ كريم هو هذا الصبي الوحيد وسط

أخوات ثلاث، جميل الملامح كوالدته، يثير إعجاب الفتيات منذ كان في السابعة.

ومنير هذا الصبي المجتهد الملتزم دومًا، من كان يخطط لهم جداول المذاكرة والمراجعات، وحتى أنشطتهم الصيفية تسير وفقًا لما يراه ويخططه، وما ينفذه ويجبرهما على تنفيذه بالفعل.

أما هو فكان الصبي المتوسط في كل شيء، لا يميزه شيء، كل شيء يحيط به غارقٌ في روتينية التوسط ما عدا حبه لرياضات الدفاع عن النفس، تلك التي ميزته فيها بنيته القوية وطول قامته؛ لذا كان هو خط دفاعهم الأول والوحيد في كل شجارٍ تعرضوا له، أو تدخلوا فيه بكل ثقةٍ اطمئنانًا لوجوده؛ حين التحق هو بالمدرسة الميكانيكية والتحق كريم ومنير بالمدرسة الثانوية العامة ظنَّ أن طرقهم قد اختلفت، وصداقتهم يومًا بعد يومٍ ستتقلص ثم تتلاشى، لكنهم استمروا في الحفاظ عليها، تلك الصداقة التي دامت لسنواتٍ وسنواتٍ حتى بعد سفر منير لدراسة الطب بإنجلترا في منحةٍ تقدَّم لها واستحقها عن جدارة، دامت صداقتهم واستمرت؛ ربما كان منير هو الأقرب لكريم، الأقرب لطموحه وثقافته، وهواياته، بينما كان هو الأقرب له في التواجد والمساندة، والمواقف العاجلة، وظلا هكذا حتى فترة قريبة.

حين رأى تغيرًا واضحًا في سلوكيات صديقه وطباعه، في البداية لم يندهش، ظن أنها ضغوطات العمل، خاصةً مع افتتاحه لمحلٍ جديد، ومرت فترة أخرى ولم يعد لطبيعته، لم يعد كريم الذي عرفه، صار يتهرب من لقائه، لا يرد عليه في كثيرٍ من الأحيان، ويغلق هاتفه

لفتراتٍ طويلة.

اضطر للذهاب إليه عدة مرات حتى وجده في المحل؛ ليحدثه في أمرٍ أجَّل الحديث فيه، ورأى من غير اللائق أن يطول الأمر أكثر من هذا دون علمه، كان قد قرر أن يصارحه برغبته في التقدم لخطبة جميلة أخته.

لم يحسب أن هذه التغيرات ستنال من أساس علاقتهما الوطيدة، وصداقتهما القوية، كان قد وضع احتمالًا كبيرًا لرفضه، لكن ليس بمثل هذا الأسلوب، جاء رده قاسيًا، صادمًا، وقاطعًا، لم يكن هذا أبدًا من طباعه، حتى في رفضه أو اختلافه معه هو أو منير في أي أمرٍ طوال سنوات صداقتهم.

كانت صدمته من رد فعله المبالغ فيه لا من الرفض نفسه؛ فهو يدرك الفارق التعليمي بينه وبين جميلة التي ستحصل على مؤهل جامعي، بينما هو لا يملك سوى شهادة الدبلوم، وعدة بطولات من أندية رياضية، ووظيفة بسيطة في إحدى الشركات الحكومية بعقد مؤقت، لكنه وعد نفسه قبل جميلة أن يُكمِل تعليمه الجامعي بالجامعة المفتوحة، كان سيتقبل أي رفض بأسلوب هادئ، لكن أسلوبه أوجعه، جعلته هذه الصدمة ينسحب في هدوء، وما أثار دهشته من جديدٍ هو ردة فعل كريم، لم يهتم! ولم يتصل! ولم يسأل عنه لما يزيد على شهر!

و لكن اليوم، وبعد كل ما عرف الأمر مختلف، الأمر يتستحق أن ينحي كل ما حدث في الفترة الأخيرة جانبًا، ويقرر تناسيه أو التغافل

عنه، إنها حياة صديقه، ومستقبله.

يقرر أن يذهب إليه في المحل، أن يسأله أن ينسى أي شيءٍ حدث بينهما في تلك الشهور الأخيرة، ويقسم له ألا شيء أهم لديه من صداقتهما، لكن الشاب الذي يعمل بالمحل يخبره أنه لم يعد يأتي إلا مرة أو مرتين في الأسبوع، حين اتصل برقمه، فوجئ به قد فعل خاصية حظر المكالمات له، وكل وسائل التواصل الاجتماعي، فيتصل بمنير الذي يقرر معه أن لا شيء أمامهما سوى هذه الخطوة.. أن يتحدث لوالدته.

***

ترحب به هذه السيدة بلهجتها الريفية التي افتقدها مؤخرًا، وهذا الوجه ذو الملامح التي تنطق بجمالٍ منزوٍ منذ سنواتٍ، ومغمورٍ تحت آثار الزمن وأحزانه التي لا تنتهي، وها قد جاء هو ليزيد أحزانها حزنًا جديدًا. تردد للحظاتٍ، ولكن ظهور جميلة إلى جوارها شجَّعه ليدخل وهو يقول:

- أعتذر يا أمي عن مجيئي في غياب كريم.

- أنت مثله يا بني، تفضل.

جلس على أقرب مقعدٍ وجده، ينظر لجدران الشقة المتسعة المريحة، وصورة والد كريم التي تتصدر الحائط الأكبر، وإلى تلك المكتبة المعلقة الصغيرة بجوار شاشة التلفاز، تتهرب نظراته منهما، تشعر الأم به، ربما يستشعر الحرج من وجود جميلة معهما، طلبت منها أن تعد لهما كوبين من الشاي، وطلبت من يسر ويمنى الذهاب

لحجرتيهما، ثم نظرت إليه في ودٍّ قائلةً:

- أما زلت غاضبًا من كريم يا بني؟ أنتما أخوان يا سعيد، وكل شيءٍ قسمة ونصيب يا بني، كريم لم يقصد أبدًا أن يخسرك.

تؤلمه كلماتها؛ إنها تتحدث عن كريم الذي كان، كريم الذي جاء ليتحدث عنه هو شخصٌ آخر.

رفع بصره إليها والحروف تتعثر بين شفتيه:

- لقد جئت من أجله اليوم، ألم تلحظي عليه أي شيءٍ يا أمي منذ فترة؟

تتنهد في أسفٍ وتجيبه:

- أعرف يا سعيد، وأحدث نفسي بأنها فترة وستمر، ربما ينساها، ربما يتعلق قلبه بفتاةٍ أخرى.

ها هي مهمته الصعبة قد بدأت، ها هو غير قادرٍ على البوْح بما جاء من أجله، ها هي تلك السيدة بكل فطرتها وطيبتها تزيد من صعوبة الأمر، تحسب أن كريم يعاني إثر انتهاء قصته مع نادين! تضع جميلة كوبين من الشاي وكوبًا من الماء المثلج أمامه، يتجنب النظر إليها، وقد قرأ منذ دخوله المنزل تساؤلاتها وتعجبها؛ يتناول كوب الماء ويرتشف منه، ثم يعيده مكانه لتزيد حيرتها.

هل سيتحدث أمام جميلة؟ كيف ستُفسر حديثه؟ هل ستهبُّ واقفةً وتثور في وجهه قائلةً إنه يزعم أقاويل كاذبة عن أخيها، بل ربما تتمادى لتتهمه باختلاق هذه الوشاية لأنه رفضه صهرًا له! يعرف

كم تحب أخاها، كم تعشقه، وما الذي يمثله لديها، بل إنه كان واثقًا أن ما ربطها به من مشاعر هو امتداد لحبها لكريم، وثقة كريم به، وها هو اليوم في موقف قد ينهار فيه كل شيء، قد تكذبه جميلة فتقتل كل شيءٍ بينهما، وقد تصدقه أمها فتنهار هي لما قد يحدث لها.

يشعر بحساسية موقفه وصعوبته، يفكر في التراجع، لكن كل ما جمعه بكريم وتلك السيدة الحنون يحثه على عدم التراجع، يستعيد حديثه مع منير الذي أوصاه أن يتدخل لإنقاذه قبل أن ينزلق لمرحلةٍ لا عودة منها.

- ماذا هناك يا سعيد؟ سمعتك تسأل ماما عن كريم، ماذا عنه؟!

تنطق بها جميلة في قلقٍ بعد أن طال صمته وزاد توتره وارتباكه أمامهما، تتلعثم الكلمات على شفتيه، ويستحث كل شجاعة داخله وهو يتحدث متلعثمًا:

- كريم يحتاج إلى مساعدتنا لننقذه مما هو فيه.

- تقصد تعلقه بنادين؟

تنظر إليه في اهتمام وترقب، يتهرب من نظراتها، ليقول في أسفٍ:

- لا، بل تعلقه برفاق غير مَن تربينا معهم، رفاقٍ انزلق معهم في جلسات الكيف وربما المخدرات.

رفع بصره ليواجه تلك النظرة الذاهلة على ملامحهما وهو يكمل:

- منذ شهور! كيف لم تلحظا أمرًا كهذا؟!

ارتفع رنين هاتفه المحمول فأخرجه من جيبه، تهرَّب بالرد على المكالمة من ردَّة فعلهما المصدومة، ليجيب مكالمة أخيه الذي يحدثه في قلقٍ:

- لقد أرسلت لك اسكرين شوت لآخر ما نشره كريم على صفحته، اقرأه؛ ربما تفهم أي شيء.

نطقت ملامحه بالتوتر وهو يرى ما أرسله له أخوه، وفي سرعةٍ أرسله لمنير في لندن، تابعت جميلة ما يفعل بسرعةٍ على هاتفه، لكنها لم تهتم لأنها لم تدرك أنه يخص كريم، التفتت لأمها في توتر لتسألها:

- ماما، هل صدقتِ ما يقول؟!

لا تجِيبها أمها، شردت بعيدًا عنهما، ترى شيئًا لا يراه أحدهما، تتذكر أشياء كثيرة، مخاوف لاحت لها كطيف منذ قليل، وربما عبرت خيالها في منامٍ استيقظت ولم تتذكره، ولكنه يتجسد الآن أمامها، تشعر بروحها تكاد تغادرها، تتنفس بصعوبةٍ ليرتعش جسدها كله. تحدثت بحروفٍ لاهثة:

- كريم.. اتصلوا بكريم، أشعر بشيءٍ ما قد حدث له.

ربَّت سعيد على يدها ليشعر ببرودةٍ تسري فيها، ينتابه إحساسٌ بالمسؤولية وربما الندم على ما تحدث به، والقلق لما قرأه حالًا. حدثها محاولًا طمأنتها:

- لقد حاولت الاتصال بهاتفه وهو غير متاح، فأرسلت له رسالةً، وحتمًا سيرد عليها حين يراها، أرجوك يا أمي، فلتهدئي!

ومن جديد، ارتفع رنين هاتفه ليجد منير يتصل عبر الماسنجر، استقبل مكالمته، ليظهر على الشاشة وهو يحدثه في غضبٍ وعيناه ممتلئتان بالدموع:

- ما هذا الذي ترسله الآن، ألم تقرأ عن الحادثة؟ ألم تعرف ما حدث لكريم ونادين؟! ألم تعرف أن كريم مات؟!

تسمع الأم اسم ابنها فتهب واقفةً، تخطف الهاتف من يد سعيد لتصرخ في شاشته:

- ما هذا الذي تقوله يا منير؟! كريم! كريم ابني أنا...

لم تستطع نطق ما سمعته، وقع الهاتف من يدها، وسقطت فاقدةً الوعي، مرتميةً على الكنبة التي كانت تجلس عليها بين نظرات سعيد الذاهلة، ودموع جميلة التي رفعت رأسها لسعيد، ولم تتحرك كتمثالٍ فزِع.

***

4

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

ساعات قبل الهاشتاج

منير السيد متولي

إنجلترا - لندن

يحاول منير الاتصال بكريم عبر الماسنجر، لكن كريم لا يجيب رغم كونه متصلًا بالإنترنت، كعادته في الفترة الأخيرة!

تلك الفترة التي راح سعيد يحدثه عن كريم فيها، عن تعمده الابتعاد عنه، وتجنب لقائه، وأخيرًا ردُّه المهين على سعيد حين تقدم لطلب يد جميلة؛ هذا الرفض الذي تفهمه منير، فهو يدرك كيف تغيرت نظرة كريم لبعض الأمور منذ انتهت قصته مع نادين؛ وتركت داخله جرحًا لم يلتئم بعد، ونارًا لم تخفت ولم تنطفئ.

جاء طلب سعيد بهذه الفترة الحرجة، التي لم يعِ هو ما تركت من أثر داخل كريم، ليضع أمامه صورة مشابهة لما حدث معه، فتهب في وجهه نيران لم تخمد بعد داخل كريم فيرفضه، وكأنما يقولها لنفسه: أنا أيضًا أستطيع الرفض، أنا أيضًا لن أُقدر مشاعر الآخرين، ولن أتنازل من أجل الحفاظ عليها؛ نيران أطلقها في وجه سعيد الذي -رغم هذا- ما يزال وفيًا لصداقة العمر؛ لا يزال مهتمًا بكريم؛ يرصد تلك التغيرات التي لحظها البعض، ويلفت نظره إليها، فما تزال مصر بخير، ما زال أهلها كما كانوا دومًا، يصونون العشرة والود، بعض

الجيران لاحظوا تقربًا يحدث بين كريم وآخرين ممن لا يرتاح لهم الكثيرون من أهل الحي، وأصحاب المقاهي حفاظًا على سمعتهم، خاصةً هذا المقهى الذي كان يجمعهم لسنوات.

يومًا ما انتحى عم عبدو صاحب المقهى جانبًا بسعيد ليسأله عن أحوال كريم، ليصوغ وسط حديثه وسؤاله عباراتٍ فهمها سعيد، وامتنَّ لعم عبده، فراح يجمع الخيوط جميعها، يتابع تحركات صديقه ليتأكد، لتأتي الصدمة التي توقعها منير في أسوأ افتراضاته.

كان منير يتوقع اضطرابات سيمرُّ بها كريم، اضطرابات ما بعد الصدمة، فحدثه بأن يدع تلك المرحلة تعبر، نصحه بأن يعبر عن نفسه بالكتابة، بالرسم، بالانخراطِ في تعلم أي خبرات تُفيده في عمله، أو التقدُّم للحصول على دبلومة في مجال دراسته التي يهواها، نصحه، وهذا كل ما كان يملكه وهو عنه بعيد، تقيده دراسته وشروط الإقامة، والمنحة، والامتحانات، يشعر أن حلمه صار قيدًا، لم يدرك هذا إلا بعد شهور من إقامته غريبًا في بلاد يعرف لغتها، لكنه فشل في اعتياد أجوائها وثقافة مواطنيها.

يشرد متذكرًا كل أحاديثهما السابقة عن نادين، يدرك مدى تعلقه بها الذي ربما وصل حد الهوس في الفترة الأخيرة، يتفهم أنها حبه الأول، وأنه كان على استعدادٍ لفعل أي شيء من أجلها، لكن هل صدمته لرفضها تفعل به هذا! تجرفه نحو تيار سيدمر كل أركان حياته! يشعر أن هناك ما هو أكبر من هذا!

شيء آخر أحدث شرخًا جديدًا بجداره النفسي، كما حدث منذ

أربعة عشر عامًا.

يتنهد في أسى وهو يتذكر يوم مرَّ عليه كريم في منزله، ناداه أن ينزل إليه، كانا حينها في الحادية عشرة من عمريهما؛ تلك المرحلة البينية ما بين الطفولة والصبا، والتي تزداد فيها حساسية الصبي نحو كل شيء، لكنه يُعبر عن تلك الحساسية بصورةٍ معاكسة، يعبر عن تشتته بالتشبث برأيه على الدوام، وعن حيرته بالمزيد من العناد والتمرد، هي مرحلةٌ عصيبة على كلا الطرفين، المراهق والوالدين.

هذا اليوم الذي لم ينسَه منير، ولم ينسه كريم ولن ينساه أبدًا، لقد ترك داخله ندبةً لن تزول أبدًا، هذا اليوم الذي شاهد فيه من ظن أنه والده، هذا الذي نعرف جميعًا أنه تُوفي منذ سنوات قبل انتقالهما لهذه الشقة التي يقطنها مع أمه وأخواته الآن، بل إنه كان يعرف أن والدته تنفقُ عليهم من المعاش الذي يأتي به أحد زملاءِ والده، في بداية كل شهر.

هذا اليوم الذي رأى والده في صالة منزلهم، ليقف مذهولًا؛ والدته تفتح له الباب في تردد وكأنها لم تكن تريد أن تفعل، لم يسأل أو يعرف حينها أين إخوته، كل ما شغله حينها هو النظر لهذا الرجل الجالس على طرف المقعد في الصالة، والذي هو نسخة طبق الأصل من والده، يقف على بعد خطوة من الباب في ذهول، ينقل بصره بين تلك الصورة وبين هذا الرجل كأنه يتأكَّد، ثم ينظرُ لوالدته في تساؤلٍ صامت، لتخفض بصرها أرضًا، ولا تنطق بشيء.

مشهد لم ينسَه كريم أبدًا؛ حين نظر إليه هذا الرجل نظرةً ملؤها

الغضب والكراهية، ثم نهض صامتًا، ملقيًا بنظرة مثلها لأمه التي لم ترفع بصرها نحوه وهو يخرجُ من الباب الذي لا يزال مفتوحًا، يفكر كريم أن يجري خلفه، لكنه قبل أن يخطو خطوة ترفع أمها بصرها إليه قائلة في حزم:

«إلى أين أنت ذاهب! لا تتحرك».

تلك الدموع التي تلمع في عينيها جعلته لا يبرح مكانه، وفي حيرة سألها:

«من هذا يا أمي؟ هو أبي، أليس كذلك؟».

لتتنهد في مزيج من الحزن والألم:

«ليس والدك يا كريم؟».

وأمام نظرته الذاهلة المتسائلة، تكمل وهي تحاول ألا تبكي:

«هو عمك، توأم أبيك رحمه الله».

«ولمَ ينظر إليّ هكذا؟ لمَ لا يزورنا؟ ولمَ لم تحدثينا عنه من قبل؟».

«سنتحدث فيما بعد».

قالتها، ومشت بخطوات بطيئة لحجرتها، لكنه لحق بها في إصرار صارخًا:

«لا بد أن أفهم».

أمام إصراره، وصراخه الذي يحاول به إخفاء إحساسه بالوجع والألم إثر تلك النظرة التي حدجه بها هذا الرجل، تمسك بيده،

وتجلسه أمامها على طرف الفراش في حجرتها لتروي له أن عمه كان في إعارة لإحدى دول الخليج قبل زواجها بوالده، كان يرسل مبالغ مالية لوالده، فاقترح عيه والده أن يستثمرها في تجارة يتشاركان فيها، ولكنها خسرت ولم يتبق شيء من رأس المال، وحين عاد جاء ليسأل عنها، وصارحه والده بما حدث، غضب وثار ومنحه فترة ليعد له أمواله، ولكنه توفي بعد فترة قصيرة، وها هو ما زال يطالبها بحقه حتى بعد وفاة أخيه، معتقدًا أنها تخفي أمواله التي كانت في حوزة أبيه، وأنه لم يخسرها كما قال.

لم يقتنع بتلك القصة الواهية، لكن منير حدثه حينها بأن يترك بعض الوقت يمر، ثم يعاود التحدث مع والدته ثانية.

كان منير حينها يهدف لتهدئة كريم، هو يعرف مدى قوة علاقته بوالدته وتقديره لها، راهن حينها على الوقت، فربما ينسى، وربما تتضح أشياء أخرى.

ربما صح رهانه لسنوات، تناسى كريم تلك الحادثة، حتى شاهد هذا الرجل، فدفعه هذا التماثل بينه وبين والده وصلة الرحم، أن يجري نحوه مناديًا: «عمي! عمي!» ليشده من يده وسط زحام العيد، في شوارع وسط البلد، حيث كان هو وسعيد وكريم في انتظار انتهاء خروج مشاهدي حفلة الساعة الثالثة، لكن هذا الرجل الذي التفت إليه في دهشة، ما إن تعرّفه نهره قائلًا في غضب: «أنا لست عمك، فلتسأل أمك من هو عمك!».

لم يفهم كريم ما يحدث؛ وقف وسط الزحام، كالذي ضاع منه دليله

وسط الصحراء، اقترب منير منه ليتحدث في صوت هادئ: «هو حتمًا ما زال غاضبًا من والدك».

تدمع عيناه وهو يشعر كمن صفعه أقرب الناس إليه في الحياة.

«ولكن والدي توفي، هل يقطع رحمه من أجل تجارة خسرها منذ سنوات! إنه حتى لم يقطع سفره ويعود لحضور جنازة أخيه!».

يقترب سعيد منهما، والذي كان قد انتصر في معركة الحصول على ثلاث تذاكر لمشاهدة الفيلم، لم يفهم أي شيء مما رأى، ولم يسمع كل ما قيل، ولكنه شاهده فقط وهو يشيح بيده في غضب لكريم ثم يبتعد في سرعة، وهو يقترب فربَّت سعيد على كتف كريم وسأله:

«هل أساء إليك هذا الرجل؟! لمَ لم تنادِني لألقنه درسًا في الاحترام؟!».

يومٌ لم ينسه كريم، أعاد إليه ذكرى أول مرة التقى فيها هذا الرجل، لم يفكر بالعبارة التي نطقها، لم يتوقف عندها، لكن تلك النظرة المليئة بالكراهية هي ما التصقت بذاكراته وبقيت، لكنه في هذا اليوم لم يرو لوالدته شيئًا، ولم يسألها.

كانت حينها تعاني أعراضَ آلامٍ كثيرة تُهاجم جسدها الضئيل، وراحت ملامحها الجميلة تختفي شيئًا فشيئًا تحت وطأة المرض الذي لم يصلوا لتشخيص له بعد.

قرر كريم أنه لا بد أن يتحمل جزءًا مما تحمله والدته من أعباء، فور انتهائه من امتحانات المرحلة الثانوية، واختيار كلية نظرية لينتسب

لها، راح يبحث عن عمل ليوفر تكاليف ما تحتاج إليه أمه من تحاليل وفحوصات لمتابعة حالتها الصحية.

لكن هذين اللقاءين تركا داخل كريم ندبة نفسية كبيرة، وكلما نظر لصورة والده المعلقة في صدر الحائط بصالة منزلهم، رأى عمه ينظر إليه في كراهية، ليسأل نفسه: «تُرى، ما الذي فعله والده ليكرهه توأمه بهذه الطريقة؟!».

رأى ألا يثقل على والدته، يكفيها مرض الروماتيزم الذي لحق به مرض السكر ليهاجم جسدها الضئيل، فيخفت جمالها في سنوات وبسرعة، لكنها تبقى بعينيه الأجمل والأعظم.

ما عدا تلك الندبة الخفية في حياة كريم، لا يوجد ما يجعله بهذا الضعف، ومن جديد سأل منير نفسه في حيرة: هل هي نادين؟

هل تعلقه بها أوصله إلى هذه الحالة من الهشاشة النفسية؟!

أم هي تلك الندبة التي أحدثها لقاء هذا الرجل عادت لتؤلمه؟

ربما التقاه فحدثه حديث نكأ حرجه وزاد عليه؟

ترى، أين هو هذا الرجل الذي من المفترض أنه عمه؟!

ترى، هل سيقف بجوار ابن أخيه لو توصل إليه؟ هل سيهب لمساعدته؟

أم سيظل كارهًا له حاقدًا عليه؟

يشعر بالحيرة واليأس، يكره كل شيء حوله؛ الجامعة، كتبه، رسالة

الماجيستير، وغرفته.

يعاود الاتصال به فلا يرد، يتلقى رسالة من سعيد، يفتحها في سرعة، ليجد صورة لمنشور كتبه كريم منذ ساعات، ولم يقرأه ربما لانشغاله بالاتصال به، يعيد قراءته، فلا يفهم شيئًا.

يدخل صفحة كريم، ربما يفهم شيئًا ما، لكن تصطدم عيناه بهذا الخبر، الذي يحمل اسم وصورة كريم وهذا العنوان «حادث سقوط سيارة من أعلى كوبري يتسبب في وفاة شاب، ونقل فتاة في حالة خطرة للمشفى. الشاب أعلن نيته في الانتحار قبل ساعات على صفحته، والفتاة هي الصديقة المقربة لليوتيوبر الشهيرة جودي الجمال».

ينظر إلى صورة كريم المأخوذة من صفحته على الفيس بوك، لا يستوعب ما يقرأ، يعود لرسالة سعيد، يعيد قراءة ما كتبه كريم، ثم يتصل بسعيد عبر الماسنجر ليصرخ فيه:

«ما هذا الذي ترسله الآن؟ ألم تقرأ عن هذه الحادثة؟! ألم تعرف ما حدث لكريم ونادين؟! ألم تعرف أن كريم مات؟!».

الفصل الثالث

قبل الهاشتاج بعام

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

الفصل الثالث

قبل الهاشتاج بعام

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

1

قبل الهاشتاج بعام

السادس من شهر مارس

كريم محمود

ما بين أحاديث المترددين على المحل وجدالات الاتفاق على أجر الصيانة، واستعجال البعض لاستلام أجهزتهم، وأسئلة من لا يملكون عن أسعار ما لن يشتروه من أجهزةٍ أو إكسسوارات، ووسط حسابات الكروت والفواتير، ومتابعته لإسماعيل مساعده ليقرر هل من الممكن الاعتماد عليه وحده أم لا؟ وما بين العصر والمغرب، ظهرت نادين؛ ظهرت خلف أم رضوى التي دخلت قبلها المحل وهي تلقي بعبارتها:

- السلام عليكم، كيف حالك يا باشمهندس؟

- وعليكم السلام ورحمة الله.

يقولها كريم وهو يرفع رأسه عن شاشة اللاب توب أمامه عندما ظهرت هي، أطلت بهالتها الساحرة الجذابة، وتدخل خلف أم رضوى في خطوات مرتبكة، تحاول إخفاءها بصمتٍ تام، وهي تستمع لأم رضوى التي راحت تشرح له أن هناك مشكلة حدثت لهاتفها من قبل آخرين لا تعرفهم، استمع لكلماتها بنصف أذنٍ وبلا وعي، وكل كيانه معلق بها، حتى التفتت إليها أم رضوى قائلةً:

- الموبايل يا آنسة نادين؟

أخرجته من حقيبتها في سرعةٍ وناولته لها، ثم نظرت إليه وحدّثته:

- لقد أغلقته، منذ وصلتني تلك المكالمة.

قالتها وهي مرتبكة، خائفة، ترتعش يدها، يُطل التوتر من عينيها، كانتا ما زالتا واقفتين، فطلب منهما الجلوس لبعض الوقت، اعتذر لهما عن ضيق المحل، فتمتمت أم رضوى بالدعاء له أن يرزقه الله من سعته.

نظر لمساعده الذي ولأول مرة فهم ما يقصده دون حديث؛ فأسرع -بعد أن تناول من هذا الزبون أمامه ثمن ما باع له- يغادر المحل، ويعود بعبوتين مثلجتين من المياه الغازية وقدمهما لهما، لتبتسم له أم رضوى قائلةً:

- الله يكرمك يا إسماعيل، كيف حال والدتك؟

- بخير الحمد لله.

ثم يخبر كريم أنه سيذهب لتحصيل بعض الفواتير، ويغادر في سرعة.

يسألها عما حدث معها؛ فتنظر إليه لتبدأ حوارها، هذا الحوار الذي شرحت له فيه ما حدث منذ ساعة، كانت لغتها رقيقة مثل ملامحها وخوفها كطفلةٍ فقدت يد أمها وسط زحام المدينة، بعباراتٍ قليلة غير مرتبة عرف عنها بعض المعلومات، يدرك منها أنها لا تعرف الكثير عن الموبايل الذي تملكه، وعن أشياء كثيرة في هذه الحياة، ويشعر

بخوفها وتوترها مما حدث.

يحاول أن يستمع إليها في تركيز، لكن تلك الهالة حولها وهذه النظرة البريئة في عينيها جعلتاه لا يبعد بصره عنها، شاردًا في زرقة عينيها، حتى انتهت من كلماتها بسؤالها الأهم:

- ما المفروض عمله الآن؟

مرت لحظات لم يُجب فيها، ظلت نظرته شاردة، ظنت نادين أن ما روته له يشكل مشكلةً صعبة يفكر فيها؛ فخفضت عينيها في ارتباكٍ وحيرة حتى تحدثت أم رضوى قائلةً:

- ماذا سنفعل الآن يا باشمهندس؟ آنسة نادين تسألك.

- خيرًا إن شاء الله.

قالها بعد أن انسحبت زرقة البحر من مدى بصره، ليبقى عطرها وهالتها يربكانه، يحاول استعادة ما قالته منذ لحظاتٍ، ليفكر في حلٍّ له لكنه لا ينجح، لا يزال هاتفها بين يديه، لم يفتحه، ولم يوصله بأي جهازٍ، فصمت لحظاتٍ، ثم ناولها ورقةً صغيرةً وقلمًا.

- فلتكتبي لي هنا الإيميل الخاص بك، وكلمة السر الخاصة به، ورمز فتح الهاتف، وكلمات المرور الخاصة بتطبيقات السوشيال ميديا.

تتناول منه الورقة والقلم، تتردد للحظات فتنظر إلى أم رضوى في حيرة، لتهز رأسها إيجابًا لتطمئنها، لا تدرك أم رضوى ما يسأل عنه كريم أو أهميته، ولكنها تثق في كريم ثقةً كبيرةً، شجعت تلك الإيماءةُ نادين فراحت تخطُّ ما طلبه منها، وأعادت إليه الورقة،

والتردد لا يزال يعلن عن نفسه في كل ملامحها، تنطق في تساؤل كطفلةٍ تسأل أمها حلوى تمنعها عنها دومًا:

- هل سينتهي هذا الأمر سريعًا؟! أخشى كثيرًا أن يتم تسريب صور أو محادثات لي أو لجودي عن عملها، ومنافسيها.

- جودي من؟!

تحتل الدهشة والذهول بحرها الأزرق وهي تسأله:

- ألم أخبرك منذ لحظاتٍ بكل ما حدث!

***

2

كريم محمود

بعد أن استمع إليها مجددًا -لكن هذه المرة بكثيرٍ من التركيز مع كل حرفٍ تنطقه- كان قلبه يلتقط لها صورةً أحلى من التي سبقتها، ومع كل عبارةٍ تنهيها بكلمتها المعتادة: «أتفهمني؟» يكاد يجيبها بـ «لا» كي تعيد كلماتها من جديد، وتعيد هذا السؤال: «أتفهمني؟!» وهي تنظر إليه في تساؤل حقيقي وتهز رأسها قليلًا، وتتسع عيناها حتى يكاد يغرق في زرقتهما للأبد.

كانت قد انتهت من روايتها للمرة الثانية، حدّثته عن هذه المكالمة التي استقبلتها من رقمٍ لا يظهر على الشاشة، تظهر بدلًا منه كلمة «رقم خاص»، ليحدثها شخصٌ ما أن تليفونها وكل ما يحمله من حساباتٍ، وملفاتٍ، وصورٍ، ومحادثاتٍ مكتوبة أو صوتية صارت لديه، ودون أن تسأله، ولكيلا تكذبه ساق لها الدليل.

أخبرها بمضمون آخر ثلاث مكالماتٍ أجرتها، ووصف لها آخر صور التقطتها، وذكر اسم آخر موقع تصفحته عبر هاتفها، ثم أنهى المكالمة بعبارةٍ واحدةٍ: «فلتنتظري ما سنطلبه منك أنتِ وجودي».

يدرك كريم أنها ليست المقصودة بما حدث بعد أن حدّثته عن جودي، ومدى شهرتها، أدرك أنها عملية ابتزازٍ ماكرة وغير معتادة، فسألها:

- وهل حدثتِ جودي بما حدث؟

لتهز رأسها نافيةً:

- كيف سأتواصل معها؟! لقد أغلقت الهاتف.

وتتنهد أم رضوى في غيظٍ:

- منهم لله، لقد انهارت الآنسة نادين، وظلت تبكي وأنا لا أفهم شيئًا، وحين هدأت وفهمت منها أن هناك شيئًا ما في هاتفها هو ما استغلته تلك العصابة، حدّثتها بأنه لن يحل هذا الأمر إلا الباشمهندس كريم.

تضحك نادين وهي تسمع كلمة «عصابة» ضحكةً جعلت تلك الهالة حولها تضيء أكثر وأكثر، وأمام ابتسامتها التي لم يرها منذ دخلت المحل، وزرقة عينيها التي سحرته، يحاول أن يبدو متماسكًا ويهمس لنفسه في لومٍ: «ماذا بك يا كريم؟!».

يرتفع أذان صلاة المغرب من المسجد القريب منه، فيردد خلفه في صوتٍ خفيض، ثم يرفع بصره لها قائلًا:

- ستضطرين لترك الهاتف والخط معي لمدة يومين أو أكثر؛ حتى أتوصل لأصل الموضوع.

- ألا يوجد حل يستغرق وقتًا أقصر، كنت أظن أن الأمر لن يزيد على ساعة أو ساعتين.

تسأله في قلقٍ وتوتر وقد تلاشت ابتسامتها الحلوة؛ فيجيبها بهدوءٍ:

- يمكنكِ التوجه إلى مباحث الجرائم الإلكترونية، وتحرير محضر بالواقعة.

تتدخل أم رضوى قائلةً في فزعٍ:

- لا طبعًا يا باشمهندس، آنسة نادين لن تذهب للقسم أبدًا، نحن نعتمد على ربنا ثم عليك.

يلتفت لنادين في تساؤل منتظرًا ردها، فتتحدث:

- كما قالت نعمة، أنا لن أذهب للمباحث.

تنطق عبارتها في أسفٍ وضيقٍ، كطفلٍ يحدث أمه عن لعبته التي ضاعت ولم يجدها، وللأسف سيظل طويلًا يبحث عنها.

تضطر أن توافق؛ فلا سبيل أمامها سوى هذا، تنهض لتغادر المحل بعد أن شكرته كثيرًا، تستدير لتنصرف فيستوقفها قائلًا:

- آنسة نادين!

تلتفت إليه قائلةً:

- نادين فقط، أم أنك تريد أن أناديك بلقبك يا باشمهندس؟

فيبتسم لها في أريحية ويقول:

- أنا لست مهندسًا؛ أنا خريج آداب القاهرة، قسم تاريخ.

تستدير إليه قائلةً في تعجب:

- حقًّا؟!

- تستطيعين القول إن التاريخ هو شغفي الأول، بينما هذا هو عملي.

تضيء ابتسامتها العالم من حوله، وتكاد الأرض تطير به وهي تحدثه في إعجابٍ لا تخطئه عين:

- جميل أن تتحدث عن التاريخ كشغف؛ هو بالفعل يستحق.

- نعم، أنا أهواه؛ نحن غدًا سنصير تاريخًا، وتاريخ اليوم هو حاضر الأمس.

من أين واتته تلك الأريحية في الحديث؟! كيف تغلَّب على ارتباكه وتخبُّطه؟! وتخطى طبيعته قليلة الكلام مع من لا يعرفهم، ومع عملاء المحل، كيف استطاعت عيناه أن تصمدا أمام وهج هالتها وزرقة بحرها الثائر، وغمازة خدها الأيمن والتي تظهر عند ابتسامتها؛ لتمنحها المزيد من البراءة والطفولة، لتزيد جاذبيتها وسحرها!

- جميل أن دراستك كانت هي شغفك، بالتأكيد كنت من أوائل دفعتك.

- الحمد لله، لكن العمل كان يأخذ معظم وقتي.

- جميل أنك كنت تعمل وتدرس، أنا أيضًا أحضر دورات إدراة وتسويق أثناء دراستي، وفي الإجازات الصيفية أعمل؛ لأتدرب وأكتسب خبرات عملية.

شيءٌ ما في كل كلمةٍ تنطقها، وفي ملامحها وروحها، يجعله متشوقًا لحديثٍ طويلٍ معها، يود أن يعرف عنها الكثير، ولكن... المكان غير ملائم، والوقت، وصلاة المغرب، وبدء الفترة المسائية التي تشهد بعض الرواج من الزبائن والمترددين على المحل، تسأله

وقد طالت وقفتها بالقرب من الباب:

- كنا سنغادر لكنك استوقفتنا، هل تذكرت شيئًا ما؟

- آه...

ذكرته عبارتها بهذا الهاتف الصغير على مكتبه، هاتف لا يتصل بالإنترنت، ولا يحتوي على كاميرا، أمسك به، تحرك نحوها وهو يقول:

- كيف ستتحركين دون أن يكون معكِ هاتف محمول، يمكنك استعمال هذا مؤقتًا حتى تنتهي هذه المشكلة، وتستعيدي هاتفك ورقمك.

تتناوله منه، وتبتسم له في امتنانٍ:

- كم ثمنه؟

- لا عليكِ، سيكون معكِ بصورةٍ مؤقتة، وسأسترده بعد أن أعيد إليكِ هاتفك، وأثبت عليه برامج حماية فائقة.

لتشكره ثانيةً فتضيء عالمه بابتسامةٍ أجمل وأجمل، تربكه وهو يودعها قائلًا:

- سأتصل بعد انتهاء عملي هنا لأسألكِ عن بعض المعلومات المهمة.

- سأنتظر.

قالتها ضاحكةً وأردفت:

- وهل سيتصل بي أحدٌ سواك! لا أحد يعرف هذا الرقم غيرك.

تلك العبارة التي أعقبت ضحكتها البريئة ظلت عالقةً بذهنه طوال الساعات التالية، شغلته عن متابعة حركة البيع والشراء في المحل فاعتمد على إسماعيل، أجرى عدة اتصالاتٍ ببعض الخبراء الذين يلجأ إليهم؛ ليتأكد من هذه الطريقة التي سيلجأ لها، وأجَّل إجراء إعادة تشغيل هاتفها حتى يتحدث معها ليلًا.

يعرف أنه فور أن يفتحه سيبدأ خطواتٍ كثيرة تحتاج منه التركيز والدقة في أدائها، فتركها لوقته الليلي بالمنزل، حتى حسابات المحل لم يقيدها ويراجعها، أجَّلها لصباح اليوم التالي.

نظر إلى هاتفها المحمول الذي وضعه في الدرج الأول بمكتبه كل عدة دقائق وكأنه يُلقِي نظرةً على كنزِه الثمين، كان يستجدي الوقت أن يمر ليتصل بها ويسمعَ صوتها، لم يسأل نفسه عما سيُحدثها بشأنه، كل ما يعرفه أنه سيتصل فيسمع صوتها، وهو ما يشتاق إليه الآن.

***

3

نادين رأفت

تسألها نعمة أن تأتي معها، لتقدم لها شيئًا:

- لا يصح أن تكوني هنا ولا تأتي لنقدم لكِ شيئًا بمنزلنا، رضوى ستفرح كثيرًا بلقائك، بالله عليكِ يا آنسة نادين!

كانت تسير إلى جوارها في هذا الحي الشعبي بعد أن غادرت محل كريم، في طريقهما إلى حيث تركت سيارتها بشارعٍ رئيس، كما نصحتها نعمة لأنها لن تستطيع الدخول بسيارتها حيث المحل والبيت الذي تسكن فيه.

- في المرة القادمة إن شاء الله يا نعمة، لا تنسي أنني لا بد أن أمر على جودي قبل عودتي، ستجن حين تجد هاتفي مغلقًا طوال هذه الساعات.

تحدّثها وهي تنظر لكل ما تقابله عيناها بشيءٍ من الحذر؛ نظرات الشباب التي تتابعها، هذا الازدحام مع ضيق الشارع نفسه، وكثرة الدكاكين على صغرها، هذه الأغاني التي يعلو صوتها من كل دكانٍ صانعةً مزيجًا مزعجًا من الأصوات المنفرة والموسيقى الراقصة، وكلمات تتداخل مع بعضها، لا تميز منها شيئًا، فإن اتفق الجميع على لونٍ واحدٍ من التصنيفات الشائعة وهو ما يسمى «أغاني المهرجانات» فسماعات كل محل تصرخ بأغنية غير تلك التي يعلو بها مسجل محلٍّ آخر.

شعرت بأنها محاصرةٌ ما بين تلك النظرات التي تلاحقها في خط سيرها، وبين هذا الضجيج والازدحام، كانت تسرع في خطواتها حتى تصل إلى سيارتها.

تنهدت في ارتياحٍ، وتلفَّتت إلى نعمة قائلةً:

- شكرًا يا نعمة، لم يكن من داعٍ لأن تعودي معي إلى هنا، وقد كنت بجوار بيتك.

- هذه هي الأصول، لا تنسي أنكِ وعدتِني بزيارةٍ في يومٍ آخر.

تبتسم لها نادين وهي تخرج سلسلة مفاتيحها من حقيبتها، وتقول:

- إن شاء الله، هل يسكن كريم معكم بنفس البيت؟

- لا، إنه يسكن في برج ما شاء الله على الكورنيش، ناحية المعادي.

لم تشأ أن تبدي تعجبها أنه اختار مكانًا كهذا ليعمل به؛ ربما لديه محل آخر في مكانٍ أرقى كالذي يسكن فيه.

تودع نعمة لتدخل سيارتها، تشعر فور جلوسها أنها عادت لعالمها، لا تحب هذا الزحام، وهذا الضجيج الذي يملأ المنطقة كلها، والنظرات المتفحصة المراقبة لكل شخصٍ يسير بها، وليس من أهلها أو المترددين عليها، تلك النظرات الثاقبة لها كأنها سائحة من جنسية مختلفة، النساء يُطلن النظر لشعرِها ووجهها، يتهامسن، والشباب يلاحقونها بنظراتٍ تتفحصها من أطراف شعرها إلى نعل حذائها، فتُصيبها بإحساسٍ شديد بالحرج والضيق، وربما الغضب.

حين جاءتها تلك المكالمة التي أفزعتها كانت توًّا عائدة من

الجامعة، ونعمة تقدم لها طعام الغداء، ظلت للحظاتٍ تحاول استيعاب ما ألقاه هذا الصوت على مسمعها.

أهي مزحةٌ من شخصٍ يعرفها؟

أم أن جودي قررت أن تنتهج نهج كثيرٍ من «اليوتيوبرز» في اختلاق مواقف ومقالب ساذجة وتافهة؟ ولكن من أين لجودي بمعرفة آخر موقع إلكتروني تصفحته؟

وصورة التقطتها بنفسها لكتابين ابتاعتهما من مكتبةٍ توقفت عندها في الطريق؟

لا، ليست جودي بالتأكيد، أو شخصًا يمازحها.

نظرت إلى هاتفها في فزعٍ وكأنه شخصٌ يشهر سكينًا في وجهها، يهدد حياتها وأمنها، أمسكت به بيدٍ مرتعشة وأغلقته، وفور أن فعلت انهارت في بكاءٍ هيستيري، لا تعرف لمن تلجأ، وتشعر بالشلل والعجز.

أدركت لحظتها أن هذا الجهاز صار يحمل حياتنا بين شرائحه المعدنية الدقيقة، وشاشة كاميراته، وذاكرته الإلكترونية؛ وصار يملك كل خصوصياتنا ويتحكم فيها.

في هذه اللحظة كانت تخافه كعدوٍّ يتربص بها، أو جاسوسٍ يراقبها، أغلقته بيدها، أغلقت هذا المحرك الذي نستشيره في كل أمورنا، ونجعله مصدر كل معلوماتنا، من ستسأل الآن عن حل تلك المشكلة؟ من سيقترح عليها اسم متخصص تذهب إليه؟ أو إجراءٍ تتخذه؟ وكيف ستتصل بجودي أو غادة لتخبرهما بما حدث؟

ها هي تملك حركتها وعقلها، وإرادتها، وكل ما تعلمته، لكنها تشعر بالعجز.

تقترب نعمة منها، فتجزع لدموعها التي حبستها في عينيها اللتين كانتا تصوبهما نحو هذا الهاتف الموضوع على المائدة إلى جوار طبقها الذي لم تمس فيه شيئًا، تسرع إليها لتسألها في قلقٍ:

- آنسة نادين، ماذا بكِ؟ كفى الله الشرا!

تبعد عينيها عن هذا الهاتف، وما زالتا تحملان نفس نظرة الفزع والخوف وهي ترفع رأسها، لتحدث نعمة:

- كارثة يا نعمة! كارثة كبيرة!

بعد أن حاولت شرح الأمر بأسلوبٍ مبسط لنعمة التي ما زالت تستعمل هذا الهاتف المحمول الذي لا يتصل بالإنترنت، وبعد أن وضعت أمامها عصير الليمون الذي قررت أن تعده لها، وصممت ألا تتحدث إلا بعد انتهائها منه، نظرت لها بابتسامتها المليئة بالسماحة والتفاؤل، وقالت ببساطةٍ وفي ثقةٍ كبيرة لتطمئنها:

- أنا أعرف من سيحل لنا هذه المشكلة بإذن الله؛ لقد حدث شيءٌ كهذا لشاهيناز بنت أم محمود جارتنا، والباشمهندس الله يكرمه حل الموضوع في ساعتين.

لم يكن أمامها سوى أن تذهب معها، قادت سيارتها عبر شوارع رئيسة تعرفها، ومنها إلى شوارع أخرى جانبية، ثم سألتها نعمة أن تترك السيارة في هذه المنطقة؛ فهي لن تستطيع التقدم بها أكثر من

هذه المسافة.

سارت عدة دقائق إلى جوارها عبر شوارع أكثر ضيقًا وأكثر ضجيجًا وازدحامًا، وسط بيوتٍ متهالكة، ودكاكين صغيرة، فعرفت لمَ نصحتها نعمة بترك سيارتها بعيدًا، ولمَ نصحتها بارتداء بنطلون رياضي واسع ومريح وحذاءٍ رياضي، بدلًا من هذه الجيب الكتان وردية اللون، والتي كانت ترتديها مع بلوزة بيضاء بلا أكمام وحذاءٍ أبيض ذي كعبٍ عالٍ.

أدركت أنها في عالمٍ آخر ومنطقةٍ أخرى، وأجواء لا تشبه حتى تلك المنطقة التي تربت فيها وما زالت والدتها تسكنها، فارقٌ كبير ما بين التهالُك والتكدس، ما بين الالتصاق والازدحام، وما بين النظرات التي تُلقى عليك وتلك التي تلاحقك وتلتصقُ بك.

فارقٌ كبير ما بين حداثة المباني وديكورات المحلات وتنظيم الشوارع، مع اقتران كل هذا بالزحام، وبين شوارع خُططت في عشوائية، ومبانٍ بلا طرازٍ ثابت، بدون أي لمسةٍ من جمالٍ أو تجمل، ودكاكين كانت عبارة عن غرف ضيقة في الدور الأول لتلك البيوت، وهُدم حائطها لتصبح مفتوحةً على الشارع الضيق، وتسمى مجازًا محلًا أو دكانًا.

مع كل خطوةٍ تخطوها إلى جوار أم رضوى كانت تفكر في هؤلاء القاطنين في تلك المساحات الضيقة، في بيوتٍ قد لا ترى الشمس، كانت تفكرُ في أطفالهم، أين يلعبون الكرة؟ هل لهم غرفٌ منفصلة لو كانوا صبيان وفتيات؟!

دارت برأسها هذه التساؤلات حتى وصلت إلى هذا المحل الذي أخبرتها أم رضوى أن صاحبه يملك حلًّا لتلك المشكلة، لتبدأ رحلةُ هذه الدقائق ورؤية المحل نفسه؛ مساحته الصغيرة، فئة الهواتف التي يعرضها في المحل، لتحدث نفسها في شكٍّ وريبةٍ وهي تدخل المحل:

«هل سيستطيع هذا الشاب الذي اكتفى بتواجده في مكانٍ كهذا أن يخلصها مما تواجهه؟!».

تنهَّدت في ارتياحٍ فور وصولها البناية التي يقع بها منزل أسرة جودي، ليعود إليها ارتباكها وقلقها، هي في طريقها لتروي لجودي ما حدث، وتتحمل ردة فعلها التي وبلا شكٍّ ستكون مزيجًا من العصبية والغضب، والكثير من القلق الذي لن ينتهي.

***

4

نادين رأفت

(كيف تبدو حياتك دون هاتفك ليومٍ أو اثنين؟

ليست الفكرة انقطاع الاتصال بشبكة الإنترنت فقط، بل عدم وجود هذا الجهاز نفسه إلى جوارك!

من أنت دونه؟ دون أرقام أصدقائك التي لم تعد تحفظها أو تحتفظ بها ورقيًّا! دون مفكرتك أو قائمةto-do list ! ودون صورك، وذكرياتك!

والأفلام وقنوات اليوتيوب التي تتابعها!

دون أن تعرف أخبار العالم حولك! ودون آخر أخبار أصدقائك وصورهم!

ودون.. مراسلات e-mail التي تخص عملك! أو ملفاتpdf التي تخص دراستك!

كيف ستكون حيًّا؟!).

كلمات راحت نادين تكتبها في محاولةٍ منها لشغل فراغها، كانت قد قرأت عدة صفحاتٍ في إحدى الكتب التي اشترتها اليوم، لكنها سرعان ما شعرت بعدم التركيز والاستمتاع بما تقرأ، هي لا تحبُّ القراءة في كل الأوقات، تحبُّها حين تكون رائقة البال، غير قلقة ومتفرغة لها.

نادين ترى الكتاب، أي كتابٍ هو رحلة في عقل ووجدان من كتبه؛ لذا لا بد أن تكون على استعدادٍ لتلك الرحلة، وهي الآن ليست على استعدادٍ لأي شيءٍ، إلا أن تستقبل مكالمة من كريم ليُخبرها أنه سيعيد إليها هاتفها، ويُخلصها من تلك «العصابة» كما أطلقت عليهم أم رضوى.

لم تخبر خالتها بما حدث، يكفيها توترها المعتاد، حدَّثتها عبر هاتف جودي بأن هناك مشكلةً في الخط، وأنها اشترت رقمًا جديدًا مؤقتًا، هذا الرقم الذي لم تعرفه حتى الآن، هي في انتظار مكالمة كريم.

تسأل نفسها، كيف وثقت به؟

كيف تركت له هاتفها بكل ما عليه من أشياء تخصها؟

وتعود لتمسك بتلك الأجندة الخضراء التي يرجع تقويمها لأعوامٍ مضت، ولم تكتب بها كلمة واحدة؛ لذا كتبت فيها اليوم، هل صار الهاتف يأخذنا من الكتابة ومن التدوين إلا عليه فقط؟ هذا ما راحت تكتب عنه:

(ها أنا قد تركت هاتفي لدى شابٍّ لا أعرفه، تركته بمحض إرادتي؛ بسبب الهاتف نفسه.

بسبب خوفي على خصوصيتي التي شعرت أنها تعرضت للانتهاك وللتلصص، إنه نفس إحساسك أن شخصًا ما دخل بيتك دون استئذانك، وتفحَّص كل جزءٍ فيه كما يحلو له، وربما استنتج الكثير عنك أيضًا.

هذا الشخص الذي لم يتلصص فقط، بل استغل كل ما رأى وكل ما عرف في ابتزازي وتهديدي، ولأشك في كل ما حولِي ومَن حولي.

هذا المتلصص الذي جعلني ألجأ إلى شابٍّ لا أعرفه، أترك في يده مفتاح بيتي الصغير؛ ليزيل آثار عدوان هذا المتلصص الحقير، وربما ينجح في الإمساك به. تُرى، هل سيستطيع؟ تُرى، هل سيستطيع هذا الشاب الذي...).

وارتفع صوت رنينٍ مزعج إلى جوارها، لتجفل للحظةٍ، ثم تمسك هذا الهاتف الصغير بيدها وتضغط على رزٍّ رُسمت عليه سماعة خضراء، لتبتسم وهي تستقبل المكالمة، هي مكالمة كريم بلا شك.

***

- أنتظر أن تخبرني أنك توصلت إلى شيءٍ ما؟

قالتها فور أن استقبلت اتصاله في لهفةٍ وقلق، فرأت في خيالها ضحكته وهو يقول:

- إنني لم أفتح الهاتف بعد!

صمتت لحظةً تلوم نفسها على تسرعها، إنها حتى لم تحيِّه بأي عبارةٍ، تنحنحت قبل أن تعتذر له في كلماتٍ نطقتها بهدوئها المعتاد:

- أنا آسفة، أنا فقط منزعجة جدًّا، وخائفة مما حدث.

- وتشعرين بعدم الأمان، والكثير من الملل؟!

- نعم، لدرجة أنني كنت أكتب منذ قليل.

- عن أي شيءٍ كتبتِ؟

- عمَّا حدث لي اليوم، وما شعرت به.

- هو شيءٌ جميل أن تكتبي، والأجمل أن يحمل ما تكتبينه جزءًا منكِ.

وتردد لحظةً قبل أن يسألها:

- وهل ذكرتِني وسط أحداث اليوم؟

صمتت للحظةٍ، نظرت لهذه الأجندة المفتوحة أمامها، ثم أدارت الهاتف بين يديها لتتأكد من خلوه من أي كاميرات، ثم في سرعةٍ أعادته لموضعه على أذنها، لتسمعه يضحك قائلًا:

- تأكدت الآن أنكِ بالفعل كتبتِ عني، وسؤالي هذا جعلك تشكين في الهاتف الذي معكِ.

أسرعت بالاعتذار له:

- لا، لم أشك، ولكن سؤالك أربكني لا أكثر.

صمت لحظةً، يحاول إبعاد تلك الفكرة عن ذهنه، ثم قال:

- هو مجرد استنتاج، وضعته في صيغة سؤالٍ لا أكثر، صدقيني.

ربما طمأنتها عبارته، وربما لاستحالة حدوث ما شكت فيه عمليًّا فالهاتف كان ملقىً بعيدًا عن الأجندة، وربما لأنها لا بد أن تثق فيه.

صمتت، لتسمعه يكمل حديثه:

- ولماذا أربككِ سؤالي؟ هل كتبتِ عني ما لا تستطيعين قوله؟

نظرت مجددًا للأجندة المفتوحة أمامها.. هل تخبره بما كانت تنوي كتابته عن ضيقها من تواجد جزء من خصوصياتِها مع شاب لا تعرفه، وهو الشاب نفسه؟!

***

5

كريم محمود

ثلاث وأربعون دقيقة مرت، تحدثا فيها عن أشياء كثيرة، لكنها لم تجب عن سؤاله الأول «ماذا كتبت عنه؟» وهو لم يكرر سؤاله.

لم يصدق وهو يغادر حجرته ليعد كوبًا من الشاي أنه تحدث إليها لثلاث وأربعين دقيقةً، تهرَّبت من الإجابة قائلةً إنها كتبت عن فزعها مما حدث، وكلمات أم رضوى المطمئنة لها، وثقتها أنه سيحل هذه المشكلة، ليضحكا معًا وهي تكرر لفظ أم رضوى «العصابة».

حين سألها عن أكثر ما تخشى أن يراه أي شخصٍ على هاتفها، أجابته:

- لا شيء محدد، ولكن الفكرة نفسها تجعلك متوترًا، الذي يحمله هاتفي ليس بالأسرار الدفينة على أي حالٍ، أنا أعرف أن مواقع التواصل الاجتماعي تتجسس علينا؛ لتدقق كل ما نكتبه أو نفعله أو حتى نقوله، وتحلله لأغراضٍ اقتصادية تزيد من مكاسبها، وتزيد من جودة وذكاء تطبيقاتها في التعامل معنا، وربما تستغل هذه البيانات في أغراضٍ أخرى.

وصمتت لحظةً، تنهدت فيها، ثم تحدثت:

- ما يقلقني حقًّا هو كل ما يخص جودي، صورها التي تجعلني أحيانًا ألتقطها لها بهاتفي، ثم أرسلها لها لتنتقي ما تنشره منها، أحاديثنا الطويلة على الواتس آب، سواء المكتوبة أو الصوتية، هي

بلا شك غير ما تبدو عليه أمام متابعيها، كثيرًا ما كانت تحدثني عن منافسينها، أو رسائل وعروض غير لائقة عُرضت عليها، تصوَّر أن يتم تسريب كل هذا.

كلماتها عن علاقتها بجودي أظهرت الكثير من ارتباطها الوثيق بها، رغم وجود دائرة كبيرة حولها من زملاء الدراسة، وأصدقاء النادي.

كان يستمع إليها مستمتعًا بكل حرفٍ تنطقه بصوتها، وأسلوبها غير المتكلف في الحديث، وصدقها، وعبارتها التي كثيرًا ما تنهي بها جملها «أتفمهني؟».

ثلاث وأربعون دقيقة لم يتحدث فيها كثيرًا، يختصر عباراته ليعود فيسمع صوتها وضحكتها وتعليقاتها الذكية والجميلة؛ فهي تُجيد اختيار كلماتها، تحافظ على مسافةٍ بينهما لكنها ليست مسافة كبيرة، يشعر أن الأيام القادمة ستجعلها أقل وأقل، وأنه على عتبات عالمها، ينتظر أن تسمح له بالدخول.

هذه الدقائق الثلاث والأربعون كانت بمثابة خطوة أمام باب عالمها، لكنه لا يزال خارجه، لم يرَ هذا العالم إلا عبر تلك الدقائق، ولم يلمحه إلا عبر سورٍ تشيده حولها، وربما هو الذي لم يتجرأ ليطرق الباب، لكن تُرى، هل بيده القفز عبر منطقة من السور أو فتح إحدى بواباته التي منحته مفتاحها؟!

«الذي يحمله هاتفي ليس بالأسرار الدفينة على أي حال».

يحمل كوب الشاي الذي أعده لنفسه، يعود لحجرته، يُخرج من حافظته تلك الورقة التي خطت بها بريدها الإلكتروني وكلمة السر،

وكلمة سر الهاتف، لتبدأ رحلته إلى أحد جوانب عالمها.

***

6

السابع من مارس

كريم محمود

كانت الساعة تقتربُ من العاشرة صباحًا حين أيقظه صوت والدته الحنون وهي تضع إلى جواره كوبًا من الشاي باللبن، وقطعتين من الكيك الذي تصنعه وحدها دون مساعدة جميلة حين تكون رائقة المزاج هادئة البال؛ فوالدته لها من الطقوس والتقاليد الكثير، مما اعتادوه جميعًا إرضاءً أو امتنانًا لها، وتقديرًا لها على كل ما بذلته من أجلهم.

يعتدل في فراشه ويُبادلها الابتسامة الصباحية، وحين يلمحُ قطعتي الكيك يغمز لها قائلًا:

- هل القمر راضٍ عنا اليوم؟

- القمر راضٍ عنك دومًا.

تقولها وتغادر غرفته وهي تتمتم بالدعاء له، بينما يستعيد هو في بطءٍ نشاط ذهنه، ويغمض عينيه للحظةٍ؛ محاولًا تذكر هذا الحُلم الطويل الذي أخرجته منه والدته، ليغادر ابتسامة نادين الساحرة ويفتح عينيه على ابتسامة والدته الحنون.

في سنواته الماضية كان يعتقد أنه حين يختار شريكةً لحياته ستكون حتمًا تشبه أمه في كل شيء، ربما طال اعتقاده هذا لفترةٍ طويلة، حتى إنه لم يلتفت لأي فتاةٍ في الجامعة، ولم يكن وقته

ليسمح بأي شيءٍ سوى حضور أقل عددٍ ممكن من المحاضرات والعمل باجتهادٍ؛ ليغطي نفقات البيت، فمعاش والده الهزيل لم يكن كافيًا لأن يحفظ حياةً كريمةً لأسرته.

مرت مرحلة الجامعة ومن قبلها المرحلة الثانوية، دون أن يعبر طيف فتاةٍ واحد مُخيلته، كأنهن جميعًا غير مرئياتٍ بالنسبة له، يعبرن من أمامه أو يتوقفن، تبقى إلى جواره لفحات من عطورهن لكن لا شيء يثبت ليعبر لوجدانه، أو يستقر في ذهنه من وجوههن، ولا أثر في قلبه يبقى.

تمر سنوات ثلاث بعد تخرجه، ربما لم يتقدم كثيرًا كما كان يتمنى، ولكنه خطى خطوات لا بأس بها.

بدأ كمندوب مبيعاتٍ وتحصيلٍ للمحلات الكبيرة والمتوسطة، ثم تعلم الكثير في البرمجيات وصيانة الهواتف المحمولة، وجد نفسه يجيد التعامل مع تلك البرامج وأنظمة التشغيل والـ«سوفت وير» فترك التحصيل والمبيعات، واجتهد ليتعلم بسرعة وفي وقتٍ قياسي، أصبح من أمهر وأسرع المشتغلين بهذا المجال، لكنه لم يستقِ خبرته تلك من دوراتٍ رسمية ليوثقها بشهاداتٍ تتيح له العمل في شركةٍ أو مركز خدماتٍ تكنولوجية، كان يدرك أن هذا سيكلفه الكثير من الوقت والمال.

لم يكن العمل بأجرٍ ثابت في شركة أو محل كبير هو مما يحلم به، افتتح محلًا صغيرًا في منطقة شعبية مزدحمة؛ ليبدأ رحلته في العمل الحر ليتجنب ضغوط وقيود العمل لدى مؤسسة أو شركة،

ربما لن يتيح له دخلًا ثابتًا منتظمًا، لكنه يفتح أمامه الطريق للنمو والتطور.

هذا الطريق الذي كان يدرك كم هو شاق وطويل، لا يتسع إلا للتعب والجهد فأسدل ستارًا داكنًا بينه وبين أي تيارٍ بارد منعش من الأحاسيس التي يعيشها زملاؤه وأصدقاؤه، لكن رياحًا شديدةً شعر بها أزاحت هذا الستار؛ حين رأى نادين تفتح عينيه على مشهدٍ ساحر، حديقة غنَّاء، زهور زاهية الألوان كلوحةٍ مبهجةٍ تمنحك إحساس الفرحة وأنت تشاهدها، وطيور تغرد هنا وهناك في سماء تحتضنها وتلفُّها بنسماتها الدافئة الحنون، سماء زرقاء تعلق بصره بها، ليحلم بهذا العالم وبالعيش داخله، وليس فقط العبور بجواره.

هذا العالم الذي وقف بالأمس على عتبة بابه مع ثلاث وأربعين دقيقة، ثم أمسك بمفتاح إحدى بواباته، ليجول في عالم افتراضي ربما، ولكنه يخصها، فيه من شخصيتها وآرائها، وربما جزء من روحها.

بدأ تلك الرحلة بجولةٍ طويلة في صفحتها على منصة الفيس بوك؛ ليرى كم تملك من الجرأة ما يمكنها به الإعلان عن رأيها في قضايا مجتمعية وحياتية مهمة وحيوية، ربما تنظر دومًا إلى الجانب النفسي لكل قضية، لا تكتفي بالرائج من الآراء وإعادة نشرها، على العكس هي تعلن رفضها ومخالفتها لبعض الآراء في شجاعة وبأسلوبٍ راقٍ غير صادم، صفحة تعبر عن إنسانة قوية وشجاعة وصاحبة رؤية؛ ربما هي تختلف تمامًا عن تلك الرقيقة المرتبكة التي زارته اليوم في المحل.

ربما هذه حالنا جميعًا أمام شاشات السوشيال ميديا؛ إما أن نكون صورة باهتة بلا روح، مجرد تكرار ونسخ لآخرين، لنصير متشابهين، تشابهًا مملًّا وسخيفًا حين نلهث وراء خبرٍ رائج دون التوقف عنده، أو تحليله، أو محاولة كشف الوجه الآخر للخبر، أو صورة أكثر دقة مرآةً لأفكارنا ولاختلافنا عن الآخرين، نتحقق مما يقال، وننشر وجهة نظر حقيقية حتى لو كانت مختلفة ولن تروق الكثيرين. كانت نادين عبر صفحتها دائمًا ما تفعل هذا.

ومن محطة الفيسبوك انتقل لتلك المحطة الأكثر رقيًّا ربما، أو الأكثر ثقلًا، وهذا العالم الذي يفضل كثيرون عدم دخوله؛ لعدم قدرتهم على مواجهته، منصة تويتر، وآراء لا تنتهي في كل شيء، وكل خبر، وكل حدث على سطح كوكبنا، يشهد حسابها كثيرًا من الثقة بالنفس والتحضر، والرقي في انتقاء تلك الكلمات التي تعبر بها عن آرائها في قضايا مجتمعية ونفسية شائكة، كهجرة الشباب غير الشرعية، ومعنى العنوسة، وعمالة الأطفال، الهوس بالظهور على السوشيال ميديا.

وإلى تلك المحطة التي توقف عندها كثيرًا ليغرق في عالمها الأزرق، وابتسامتها الحلوة، وملامحها البريئة، وشعرها البني الفاتح الذي تضيف أشعة الشمس إليه تألقًا ذهبيًّا، لتبدو كشمسٍ صغيرة تسكنُ الأرض، تمنحُ جمالها ودفئها لنا في احتواءٍ وحنو.

معظم صورها إلى جوار جودي، والقليل منها مع سيدة أنيقة ترتدي دومًا ملابس مبهجة الألوان مع إكسسوارت راقية غير متكلفة، تهتم بزينتها وملابسها، تشبهها بنسبة كبيرة.

ومن تلك المحطة المبهجة إلى جولةٍ سريعة بالتطبيقات التي يحملها هاتفها، ليعرف ولعَها بكتب علم النفس والتنمية البشرية، وبعض الكتابات الروائية، والقليل من الألعاب الإلكترونية.

ومحطة أخيرة، تردد كثيرًا قبل عبورها، لقد تركت له هاتفها لكنها لم تمنحه إذنًا بخرق خصوصيتها، لم يفعل هذا من قبل مع أي جهازٍ كان بحوزته يخص آخرين، ولكن نادين.. هذا العالم الذي يود أن يبحر فيه أكثر وأكثر، لكن هل يفعل هذا ليعرف عنه أكثر؟ أم ليتأكد أنه ليس هناك من مَلكَ أو يملكُ مفاتيح عوالمها؟

بالأخير فعلها، وجد نفسه يعيش علاقتها مع جودي، ليجد نفسه أمام جودي وليس أمام نادين؛ فعلاقتها بجودي بها كثير من الاحتواء، والتحمل، والتغافل، تتعامل مع جودي وكأنها أختها الصغيرة التي تحتاجها إلى جوارها دومًا؛ ترشدها وتساندها.

أما باقي حواراتها مع الآخرين فكانت لا توحي بشيءٍ، ردودٌ مهذبة، كلمات تشجيعية، وروحٌ مرحة في الجروبات التي تضم زملاء الدراسة أو صديقات النادي.

لم يشعر بتأنيب الضمير؛ لأنه اطلع على تلك الحوارات، فلم يكن بها ما يسيئها أن يعرفه، اطمأن، لا رسائل بينها وبين شابٍّ يبوح لها بمشاعره، أو يتفق معها على موعد، فرحة لم يشعر بها من قبل، فرح كمن نجح في اجتياز أصعب اختبارات حياته، وفاز بكل ما يطمح إليه.

فرحة جعلته ينام في اطمئنان، يملؤه إحساس لم يعشه من قبل،

إحساسه وكأنه ملك العالم وما فيه؛ فعالمه أصبح محصورًا في زرقة عينيها وسحر ابتسامتها.

مرت ليلته في أحلامٍ يسبح في سحر عالمها وزرقته، ليستيقظ لا يتذكر شيئًا سوى أنه غادرها في أحلامه، ليشتاق لرؤيتها في صحوه!

يهتز هاتفه إلى جواره بهذا الرقم الذي منحه إياها بالأمس مع هذا الهاتف القديم، يسرع باستقبال المكالمة ليسمعها تحدثه في هدوءٍ يشوبه قليل من الغضب:

- صباح الخير يا كريم، ما هذا الذي فعلته بالأمس؟

يشعر بيده التي تمسك بالهاتف ترتعش، يكاد الهاتف يسقط من يده، تشحب ملامح وجهه، ويشعر بصوته، وقد غرق داخله، يحاول النطق ولا يقدر.

فكرة واحدة صدمت رأسه؛ أن تكون على درايةٍ بما فعل، بأنه خرق خصوصيتها، تمامًا كما فعل هذا الشخص الذي يهددها، لم يجد ما ينطق به، شعر لأول مرة بالعجز عن تفسير ما يفعل، ووجد نفسه داخل دائرة من الخجل تضيق عليه وتضيق، لم يسأل سؤالًا بديهيًّا وهو الخبير بهذه الأمور «كيف لها أن تعرف؟!» أربكته عبارتها، وأفقدته القدرة على التفكير المنطقي.

مرت لحظات، وهو لا ينطق حتى سألته:

- كريم، ألا تسمعني؟

- ها.. أسمعكِ بالطبع، ماذا حدث؟

قالها محاولًا التحكم في قلقه وتوتره، حدَّثته في بساطتها المعتادة:

- بطارية الهاتف على وشك النفاد، لم تعطني الشاحن معه بالأمس.

تنهد في ارتياحٍ، وعاد سماعُ صوتها يطرب قلبه، وتضيء عيناه بوهجٍ غريب، وهو يحدّثها:

- أين أنتِ؟ سآتي إليكِ بالشاحن حالًا.

***

7

السابع من مارس

نادين.. كريم

- ولكن، لمَ لم تفتح الهاتف حتى الآن؟

- لأجعل هذا المتلصص قلقًا متوترًا؛ لقد فقد ميزة تتبعك، ومعرفة خطوتك القادمة، وحين أفتح الهاتف ستصله رسالة بذلك، سيتصل حينها فورًا، وسيخبرك مباشرةً بما يريد؛ ليعرف هل سترضخين لابتزازه أم لا.

- وماذا ستفعل حين يتصل؟

- لقد فعلت بالفعل.

لتهتف في فرحة:

- حقًّا؟!

ينظر لها، يبتهج قلبه ولفرحتها، يشعر بالسعادة كونه سبب هذه الفرحة في عينيها، لكن ما زالت أمامه عدة خطواتٍ، يخشى أن يحدّثها بهذا فتنطفئ فرحتها، لذا يومئ برأسه مبتسمًا:

- غدًا يعود إليكِ هاتفك، وتنتهي هذه المشكلة، ولكن لا بد أن أكون بالقرب من أحد الأماكن التي تترددين عليها، أو بالقربِ من منزلك.

- حسنًا، اسمح لي أن أدعوك للعشاء معنا غدًا، وسأدعو جودي أيضًا؛ لتتعرف عليها ونحتفل بانتهاء كل هذا.

- كما تشائين.

يدرك أن شيئًا ما داخله يتغير، أو يولد، شيئًا داخله صار متعلقًا بها.

يريد أن يحدّث كل من يقابله عنها، يريد أن يسرع إلى البيت ليحدث والدته كم هو فرحٌ مبتهجٌ كما لم يكن من قبل، يود لو كان منير هنا؛ لذهب إليه، وراح يروي له عنها، عن ضحكتها، وابتسامتها، وزرقة عينيها، يتمنى أن لو غرق فيها للأبد تاركًا كل شيءٍ خلفه.

وفي الوقت نفسه يخالطه إحساس معاكس تمامًا، هو لا يريد أن يعرف أحدٌ ما يعيشه، لا يريد أن يعرف أحدٌ عنها؛ هي سره، هي كنزه، وهي التي لن يصدق أحدٌ ما سيرويه عنها.

ستندهشُ جميلة؛ لأنه أخيرًا آمن بما كان يقرأه ولا يصدقه، وسيسخر منه سعيد قائلًا: «أهلًا بك يا صديقي، في عالم القلوب الحائرة».

يريد أن يتحدث عنها وينطق باسمها، ويضع صورتها فوق هذا الحائط الذي يواجه فراشه، ويريد أن تظل داخله لا تفارقه، ويرغب في ألا يبوح لأحدٍ عنها، يخشى إن نطق أن تتحول من حُلمٍ إلى واقع، فتتلاشى حين تتشابه مع كل الأخريات في أذهانهم وهي ليست أبدًا كأي أخرى.

هي كل شيءٍ لم يعِشه، وكل حُلمٍ لم يحلم به، لا شيء دونها يستحق، وكل شيء من دونها لا يستحق.

هل كان يحيا قبل أن يلتقي بها؟

هل كان هناك ما يدفعه للبقاء يومًا آخر في الحياة؟

لمَ كان يحيا؟ وبمَ كان يحلم؟

ربما لم يحلم؛ لأنه لم يكن قد عرف أن هناك هذا العالم خلف عينيها!

ربما لم يحلم؛ لأنه لم يرَ هذا النهار الذي يُشرِق حيث تكون، وعاش طويلًا في ليلٍ لم يرَ في سمائِه قمرًا ولا نجومًا، بينما يضيء الآن ليله وميضها الأزرق، مستيقظًا كان، أو نائمًا يحلم بها.

***

كان الأمر كما توقع؛ محاولة قرصنة لجهاز نادين، ليسهل من خلاله الوصول لهاتف جودي، والعثور على أي شيءٍ يمكن مساومتها عليه مقابل عدم تسريبه، جودي تُفعِّل برنامجًا قويًّا من الصعب اختراقه على هاتفها والحاسوب الخاص بها، بينما نادين لا تفعل هذا؛ فكان اختراق هاتفها سهلًا، كانت الخطة أن تتم قرصنة هاتف جودي عن طريق إرسال رابطٍ غير ظاهر بين ما ترسله نادين لجودي، لكن تلك الرسالة ولسببٍ ما لم تفتحها جودي، أعادت إرسالها لنادين تسألها: «ما هذه؟»، لم يظهر كل هذا لنادين، لا الرسالة ولا رد جودي المتسائل كلن هذا الشخص قد مسحها فورًا؛ فشلت خطته غير المباشرة، ولم يعد أمامه سوى التهديد المباشر فلجأ لمحادثة نادين مباشرةً من رقمٍ لا يظهر للمتصلِ به، ليُساوِم جودي عن طريقِها.

كان تحديًا صعبًا له، استعان فيه بأحد الخبراء الذين تعلم منهم، الأمر لم يكن سهلًا، ولكن أي صعبٍ يهون من أجلها ومن أجل

حمايتها، ومن جديدٍ وجد نفسه يتعلم، ويستعيد ما تعلمه من قبل؛ فهو نادرًا ما تواجهه مشكلة كهذه، لقد سار عدة خطواتٍ في هذا المجال الشائك، عدة خطواتٍ فقط أدرك خلالها أنه بقدر المكاسب المادية يكون حجم المخاطرة، وبقدر ما تستطيع أن تحمي شخصًا تستطيع أن تؤذي آخر.

عرف مدى خطورة ما قد يتعرض له من تهديداتٍ أو مساوماتٍ، وعرف أيضًا حجم المكاسب المادية الكبيرة التي يمكن الحصول عليها في مقابل هذه الخطورة؛ لذا ابتعد عن هذا المجال رغم شيءٍ من المهارة كان قد اكتسبها بالفعل؛ العمل في هذا المجال يتطلب السرية، الحذر، الحيطة، والصبر، والكثير من الغموض، سيدخل إلى عالم سري، عالم يتخفَّى فيه ولا يظهر، ينسى اسمه، ويصير له فيه اسمٌ حركي وربما كود أو رمز، يعملُ في نطاقٍ ضيق جدًّا، صامت، كل التعاملات خفية، لا تعامل مباشر، هو عملٌ يجعل لكَ حياةً سريةً كاملةً، وقد اعتاد على الوضوح، وإعلان مواقفه في شجاعة، دون مواربة أو مراوغة.

أعادته نادين للاقتراب من هذا العالم، تواصل مع «X#*» أستاذه في هذا المجال؛ ليساعده وليتأكد من خطواته، وهو من نصحه بما فعل.

***

8

الثامن من مارس

كريم محمود

هل هو حقًّا ذاهبٌ للقائها؟

لم يصدق دعوتها، ظنها ستكون في كافيه أو مطعم، لم يصدق أنها بكل بساطة دعته لتناول العشاء في بيتها.

لأول مرة يولي اهتمامًا بملبسه، حذائه، والعطر الذي سيستعمله. كان قد كتب العنوان على ورقةٍ وهو معها. أخرج الورقة من حافظته ليقرأ العنوان ليجدها فيلا في التجمع، فقرر استدعاء سيارة خاصة من خلال أحد التطبيقات.

كانت الساعة قد اقتربت من السادسة والنصف، حتى تلقى مكالمتها لتؤكد عليه الموعد، كاد يقول لها: «إنني أستعد، منذ ساعةٍ كاملة» لكنه اكتفى بأن يحدّثها أنه سيكون هناك في تمام السابعة.

***

كانت المرة الأولى التي تصافحه فيها، بعد أن فتحت الباب، لتطل عليه في فستان أزرق بلون عينيها، وحذاء أبيض ذي كعبٍ عالٍ، وعطر أدار العالم حوله مرات ومرات.

المرة الأولى التي يعرف فيها لمَ وصف كثيرٌ من الأدباء مصافحة المحبين بتيار كهربي يسري من اليد للجسد كله لينعشه، ليعيد إليه

الحياة، ويستكين بعده القلب ويهدأ، وتهيم الروح في عوالم وردية ساحرة.

تبتسم له وهي تدعوه للجلوس قائلةً:

- تفضل هنا، جودي في المطبخ، صممت أن تصنع كعكة للاحتفال بانتهاء هذه المشكلة.

ليبتسم لها قائلًا بعد أن جلس إلى أول مقعد مريح قابله، وجلست في المقعد المقابل له:

- لكن الأمر لم ينتهِ بعد.

ترتسم نظرة ذهول في عينيها البريئتين، ذهول كاد يبكيها كطفلةٍ ضاعت منها لعبتها الوحيدة، وهي تسأله:

- لقد أخبرتني أن المشكلة ستنتهي اليوم.

- وكنت صادقًا، لكن هناك خطوةٌ أخيرة كان يجب أن تتم هنا؛ كي يعرف هذا المتلصص أنكِ من استطعت مواجهته والوصول إليه وحدك.

لم تفهم ما قال، لكن تلك الثقة التي قررت منحها له بمباركة نعمة جعلتها تصدقه، وتسأله لتزداد اطمئنانًا:

- تعني أن هاتفي سيعود لي اليوم، وأن هذا الشخص لن يتصل بي ثانيةً!

- نعم؛ لذا أجلت آخر خطوة –كما أخبرتك- لأتمها أمامك هنا،

لحظات وسينهي الأمر.

كان كريم قد أغلق الهاتف بعد أن أتم الخطوات التي نصحه بها أستاذه «x#*»، وبعد أن توصل معه لكل ما يخص هذا الشخص، ورتبه في ملف أرسله لهاتف نادين.

كان قد تلقى اتصالين من رقمه المجهول ولم يرد، يعرف أن هذا سيستفزه أكثر، وأنه فور أن يفتح الهاتف ويفعِّل عمل شبكة الإنترنت، ليعرف هذا الشخص بوجود نادين في بيتها سيتصل من جديد؛ هو لا يشاء أن يعرف هذا الشخص أن نادين لجأت لشخصٍ آخر، يريد أن يوهمه أنها فعلت هذا وحدها.

- أتسمحين لي؟

أخرج هاتف نادين من جيب سترته بيضاء اللون، والتي قلّما يرتديها، ونهض من مكانه ليجلس إلى جوارها؛ لترى ما يفعل فتح الهاتف أمامها، ثم قال لها:

- سيتصل الآن.

- وهل سترد عليه أنت؟

هز رأسه نافيًا قائلًا:

- لا، ولن تردي أنتِ أيضًا، سترين ما سيحدث.

بعد دقيقةٍ من تشغيل الهاتف ونظرات الترقب والانتظار تحتل المشهد، ارتفع رنين الهاتف مظهرًا على شاشته كلمة «رقم خاص».

توترت نادين قليلًا وهي ترى تلك عبارة «رقم خاص» ولكن ابتسامةً واثقةً من كريم جعلتها تطمئن، تجاهلا الرد مرة واثنتين، ثم وجدته يقرب الهاتف إليها لتراه وهو يكتب رسالةً إلى رقمٍ غير مسجل في ذاكرة هاتفها، ويرسل إليه رسالة مكونة من ثلاثة أجزاء:

«أعرف أنك ستمسح رقم هذا الهاتف من ذاكرة هاتفك وذاكرتك».

ثم أرسل له بياناته كاملةً: اسمه، ورقم هاتفه، وعنوانه، ومحل عمله غير الحكومي، ثم رقم مباحث الجرائم الإلكترونية.

ثم أرسل له ملفًا كاملًا يحوي كل ما يحمله هاتفه ذو الرقم الذي لم يعد مجهولًا بالنسبة له، بالتالي فمن السهل تتبعه والإبلاغ عنه، كانت الرسالة واضحة، وقد فهمها هذا الشخص سريعًا ولم يعاود الاتصال، لتتنهد نادين في ارتياحٍ وتنظر إليه في انبهارٍ، وتسأله:

- كيف فعلت كل هذا؟ أنت رائع!

عبارتها، وهذا الانبهار الذي أشرقت به زرقة عينيها، تلك المسافة الصغيرة بينهما، عطرها الذي تخلل مسام روحه، فرحتها... كل هذا جعله يقول لها في صوتٍ هامس لم يتخيل يومًا أن يتحدث به وهو غارقٌ في زرقتها السحرية:

- من أجلك يا نادين.

- really, really

thank you,I am so grateful for you

تلك البساطة التي تحدثت بها، ونُطقها لهذه العبارة بالإنجليزية، كما

تحادث زملاءها أو صديقاتها جعلته يتراجع للخلف قليلًا وهو يناولها الهاتف، وتراجع كل ما كان يعيشه في هذه اللحظة داخله وهو يراها تمسك بالهاتف كطفلٍ وجد لعبته المفضلة بعد بحثٍ شاقٍّ، ثم تقف لتحدثه:

- لم أقدم لك شيئًا تشربه، هل أعد لك قهوةً أو عصيرًا؟

- أي عصير.

قالها في بطءٍ، وهو يحاول أن يتغافل عن إحساسٍ تجسّد بقوةٍ داخله، إحساسه بأنه غير موجود، غير متواجد في هذا العالم الذي يحلم به منذ أول أمس. عالم نادين، ربما هو موجود لكنها لا تراه، تتعامل معه، تحدثه، تبتسم، وتضحك، وتتبسط في الحديث، تمامًا كما تفعل مع كل من حولها.

لم تشعر بما يعيشه منذ أمس الأول، لم تدرك أن «كريم» اليوم اختلف تمامًا عن «كريم» منذ يومين، قبل أن تلج عالمه ويقف منتظرًا أن تفتح بوابة عالمها له.

راح يتطلع حوله للمكان، رغم صغر مساحة الفيلا إلا أنها صُممت بطريقةٍ توحي بالاتساع والراحة؛ اختيار ألوان الجدران، وقطع الأثاث الصغيرة المريحة القليلة، وهذه الحديقة الأمامية التي تبدو من خلف الواجهة الزجاجية كمساحةٍ مريحةٍ للاسترخاء وسط هذه الخضرة الزاهية، وبعض الشجيرات على جانبي الحديقة، وعدد كبير من أحواض الزهور ذات الألوان الهادئة، راح يتخيل نادين وهي جالسة إلى هذه المائدة، شاردة فيما تقرأ، تحتسي فنجان القهوة،

يعرف أن نادين تحب القراءة لكن في جوٍّ هادئ مريح؛ ربما هي من تنظم وترعى تلك الحديقة، ومن غيرها سيفعل! من يليق بالجلوس وسط خضرةٍ زاهيةٍ وزهورٍ رقيقة إلا نادين! من له جمال ورقة تشبه روح هذه الحديقة البسيطة غير نادين!

يسمع صوتها، يرى ابتسامتها قبل أن يلتفت لها وهي تقول:

- فيمَ كنت شاردًا؟ هل أحببت حديقتي؟

كانت قد جلست وإلى جوارها جودي في ثيابٍ بسيطة وعملية، وبلا أي زينة، ابتسمت له وقالت:

- أشكرك على ما فعلته، أنا جودي، من الأكيد أن نادين حدّثتك عني.

***

صاحبته نادين حتى وصلا لباب الفيلا الخارجي، كانت جودي مشغولة بمكالمة، صافحته وعالمها يبتسم له في امتنانٍ واضح، وهي تسحب يدها من يده، شعر بروحه وقد بقيت بين يديها، وأنها لن تعود إليه. ودَّع روحه معها وهو يغادر الفيلا.

هذه الساعة التي قضاها معهم، معها، ومع جودي، وخالتها، وزوجها، أدخلته أجواءً لم يرها من قبل، ربما شاهدها فقط على شاشات التلفاز والسينما، حيث يمكن للفتاة دعوة صديق أو زميل لها بالمنزل، ليتعرف على أهلها في بساطة وتلقائية.

تلك الأريحية التي تعاملت بها نادين معه في وجود خالتها وزوجها

بلا تخوف، أو حرص، هذه البساطة التي تحدثت خالتها بها إليه؛ لتتعرف عليه، فراحت تسأله عن أسرته، ذكرت له كم كانت تتمنى أن يكون لها أخ، ثم نظرت لزوجها في حبٍّ لتقول:

- ولكن يونس عوضني بوجوده عن كل ما حلمت به.

وأوصته بإخوته ووالدته؛ هذا الترحاب من زوج خالتها، وتشجيعه له لأنه رفض قيد العمل لدى أي شركة أو مؤسسة، وأنه اختار أن يبدأ عمله الخاص حتى لو بدأ بمحلٍّ صغيرٍ يستأجره في حي شعبي، حدّثه زوج خالتها عن بداية شركته، ورفضِه أن يعمل مع والده.

كانت جودي تتحرك بالفيلا كأنها في بيتها، تداعب خالة نادين وتناديها باسمها «غادة» أو «دودي» كما تفعل نادين، وتسأل زوج غادة إن كان قد شاهد آخر فيديو لها، ونادين وسطهم جميعًا كالفراشة التي تطير، وترفرف بجناحيها بألوانٍ مبهجة يغلب عليها الأزرق، لتضفي على المكان إشراقة روحها وعذوبة حديثها.

غادرهم وهو يود ألا يفعل؛ كانت جلسةً جميلةً ومريحة، ربما كان مرتبكًا في البداية ومشتتًا، يخاف استقبالهم له كشخصٍ غريبٍ عنهم، يخشى أن يلحظ أحد ما يحاول إخفاءه من إحساسه بـ«نادين»، ويتحرج من دخوله المنزل دون دعوة من صاحبه، لكنهم جميعًا لم يُشعِروه سوى بكل ودٍّ وترحابٍ.

بعد أن غادر الفيلا، سار شاردًا تأخذه أفكاره في اتجاهاتٍ شتى، وتتذبذب مشاعره ما بين الفرحة والخوف، السعادة، والحيرة!

9

منتصف ليل الثامن من مارس

جودي... نادين

- لا يا جودي، لا أرى من اللائق إرسال المبلغ له مع نعمة، سأرتب معه أن نلتقي في الـ week end في النادي.

- وماذا لو رفض أن يحدد مبلغًا معينًا حينها؟

في حيرةٍ قالت:

- فعلًا، ربما يرفض!

- حسنًا، سأحاول أن أسأل أحد زملائي بالكلية، والده يمتلك شركة برمجيات، ربما يحدد لنا المبلغ المناسب؛ فلتتصلي أنتِ به، وتحددي الموعد.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة، حين حدّثتها جودي لتذكرها بأنها لم تعطِ لكريم مقابل ما فعله لحل تلك المشكلة.

فكرت أن تتصل به، ولكنها أجّلت الفكرة للصباح، كانت فرحة بعودة هاتفها إليها، راحت تتصفح حسابها على الفيس بوك، وأطلت في سرعةٍ على موقع الإنستجرام، ثم ذهبت في رحلة قراءة سريعة للهاشتاجات الأكثر رواجًا في مصر والعالم.

لم تنشر أي صورةٍ لها، ولم تكتب كلمةً واحدةً، ربما بالغد تفعل، تذكرت أنها لم تصلِّ المغرب والعشاء؛ قامت لتتوضأ وتصلي، ثم

أمسكت كتابًا لبضع دقائق قبل أن تذهب في نومٍ بلا قلق، بعد ليلتين من القلق والتوتر منذ مكالمة هذا المتلصص المبتز.

ابتسمت في ارتياح وهي تتذكر أن كريم أخبرها أنه قد حمَّل برنامج حماية قويًّا، ونصحها بعدة نصائح وهي تستعمل تطبيقات السوشيال ميديا، أو حتى تطبيق خرائط جوجل.

كان وقتًا لطيفًا وهو يجلس بينهم، رأت نظرة إعجاب يونس به، وربما غادة أيضًا، لم تحدثهم أن نعمة هي من عرفتها به؛ فهي لم تروِ لهم شيئًا عن هذه المشكلة التي انتهت على يده، لم تشأ أن تقلقهم، عرفوا أنه صديق نادين وجودي منذ فترة قصيرة.

سألت نفسها: تُرى لو اعتذر عن دعوتها للقاء في النادي متعللًا بعمل أو شيءٍ آخر، كيف ستعطيه المبلغ؟

هل ستضطر للذهاب ثانيةً إلى هذه المنطقة المزدحمة؟!

تنهدت في إرهاقٍ، وقررت تأجيل التفكير في أي شيءٍ للغد.

الفصل الرابع

«من الأجندة الخضراء، وهذا التطبيق الأزرق».

الجزء الأول.. صفحات من الأجندة الخضراء

الجمعة 11 مارس

لماذا عدت للكتابة في هذه الأجندة الخضراء؟

هل لأنني لم أعد واثقةً بهذا الهاتف؟ وبأي تطبيقٍ يحمله؟

أم هي عودة للكتابة! تلك العادة التي هجرتها منذ انتقالي للإقامة مع غادة في الفيلا بعد زواجها، منذ بدأت أرتاد معها النادي والجيم، ونتجول للتسوق، ونذهب لصالونات التجميل، ونسافر صيفًا كل عام، وأحيانًا شتاءً.

الكتابة؛ تلك العادة التي ورثتها من أبي، أو شجعني لأكتسبها، فكان يشتري لي كل عامٍ أجندة جديدة.

حدّثني أن الكتابة تريح العقل، تنظم التفكير، وتضع المشاعر في أماكنها الصحيحة؛ فنحن حين نكتب ما نشعر به ثم نعود لنتأمله، ونحلله، حينها نراه على الوجه الأصح، بلا اندفاع أو تسرع.

هو من علمني أن أكتب بأجندتي يومياتي، يحدّثني أنني سأتعلم منها الكثير حين أعيد قراءتها من فترةٍ لأخرى، سأرى شخصيتي وهي تتطور، وآرائي وهي تتغير وتنضج، ومشاعري وانفعالاتي التي بعد مرور وقتٍ سأراها برؤيةٍ أخرى.

بعد وفاته، لم تأتِ أمي لي بأجندة لأسجل بها يومياتي، وأعبر عما يختلجني من مشاعر مشتتة ومربكة؛ بل أتت بكراسةٍ لنسجل فيها احتياجاتنا أنا وهي، وما يلزم البيت، والمبالغ المطلوبة شهريًّا من إيجار، وفواتير كهرباء وغاز.

لا أذكر أنني رأيت أبي يومًا يفعل هذا أو يتحدث مع أمي في هذه الأشياء،كل ما أذكره أنه كان يعود من عمله كل يوم حاملًا لي ما طلبته صباحًا. تنظر له أمي في لومٍ، وتحدثه بأنه يدللني كثيرًا، ولا يدخر شيئًا للزمن، فيضحك لعبارتها قائلًا:

- إنك فقط تغارين منها، لا تخافي أنا لا أنساكِ أبدًا.

ويخرج من جيب سترته، قطعتين من الشوكولاتة البيضاء التي تعشقها أمي ولا تتوافر في المحلات القريبة من سكننا.

كانت تحبه، تخاف عليه، لكن ربما لم تكن تجيد التعبير له، بينما كان هو يغمرها بالكلمات الحلوة، والمداعبات اللطيفة، ويتحمل عصبيتها الشديدة وتوترها الدائم.

ربما عدت لأكتب لأعود لعالم كان يُقربني من عالم يحبه أبي، فقد كان مدرسًا للغة العربية، ورثت منه حب الكتابة، ورثت منه الهدوء، التريث، والتفكير الطويل قبل اتخاذ كل قرارٍ مهم، هو من علمني أن هناك فارقًا كبيرًا بين السماع والاستماع، بين الفضول والاهتمام، بين الإعجاب والحب.

كان امتداح الجيران لأخلاقي يسعدني، وإطراء المدرسين على سلوكي وتهذيبي يجعلني أبتهج وهم يقولون: «تربية أستاذ رأفت

الله يرحمه» وحين يُثني البعض على آرائي الجريئة، ثقتي بنفسي، وشجاعتي، كنت أفرح؛ أفرح لأنني بذرتك يا أبي، تلك البذرة التي أنبتت نبتًا أحسبه طيبًا مثلك، تلك النبتة التي ارتوت من رعايتك وحنانك وخلقك، لأظل دومًا فخورةً بك يا أبي، وأحاول ألا أفعل إلا كل ما كنت سترضى عنه، وتفتخر به؛ أنت لم تغادرني يا أبي، أنت داخلي، أحملك معي أينما كنت.

وربما عدت للكتابة ورقيًا، لأنني لم أعد أثق في هذا الجهاز الذي أحمله، صرت أخافه، أخاف أن يتكرر ما حدث؛ لذا عدت لأكتب هنا، وليس عبر تطبيق اليوميات على الهاتف، ومسحت من الهاتف كل تطبيقات اليوميات، والـ to do list، ولم أعد أحتفظ بصوري الخاصة عليه طويلًا، قررت الاحتفاظ بكل ما يخصني على جهاز لاب توب لا يتصل بهذه الشبكة العنكبوتية،كانت غادة قد استغنت عنه فقررت الاحتفاظ به، وها أنا أستعمله كألبومٍ لذكرياتي، وحافظة لكل ما يخصني بعيدًا عن هذه الشبكة.

تلك الشبكة التي أصبحت بدهاءٍ تتحكم في حياتنا، تعرض علينا الكثير والكثير من التطبيقات والمنصات، لنتعامل معها ونحتاج إليها فنعتاد عليها، نعتبرها نوعًا من التسلية، ثم تتغلغل داخلنا فنراها ضرورةً لا نستطيع الاستغناء عنها لتصبح إدمانًا، فتسرق أعمارنا ونحن نحسب أننا نستمتع بالحياة، وهي التي سرقتنا من الحياة لتحبسنا داخل شاشاتها.

حين حدثت كريم بهذا اليوم، بعد أن قبل دعوتي له لنلتقي في النادي؛ ضحك قائلًا:

- هذه طبيعة حياة جيلنا والأجيال القادمة كلها، ولا هروب منها.

ربما كان محقًّا لكنني أحاول أن أكون من الناجين، لا أريد أن أشعر أن تلك الشبكة تراقبني، تحلل كل ما يخصني، تستغلني، وأن هناك متربصًا ينتظر ليخترق تلك الشبكة من ناحيتي ليستغل هذا، ليهددني، أو يبتزني كما حدث، ربما كان محقًّا في هذا لكنه لم يكن محقًّا حين رفض أن يأخذ هذا الظرف الذي وضعت فيه مبلغًا كمقابل أو أجرٍ لما فعل.

جعلتني نظرة عينيه المصدومتين مما فعلت، ومحاولته ألا يبدي غضبه، لا أكرر المحاولة وأنا أودعه لدى بوابة النادي.

كان يومًا لطيفًا، تحدثت فيه جودي كثيرًا، وبالطبع كان معظم حديثها عن قناتها، والمحتوى الذي تقدمه، كنت أستمتع بنظرات اهتمام لحديثها الذي يمتلئ بالحماسة والانفعال، فهكذا هي حين تتحدث عن السوشيال ميديا، تنفعل كأنه واقع حقيقي، وليس مجرد وسيلةً من وسائل التواصل الاجتماعي لكنها الأكثر زيفًا وكذبًا.

لم أتحدث كثيرًا، اكتفيت بالاستماع لحواراتهما، والتدخل قليلًا في الحديث، كنت أتساءل: هل من الممكن أن يكون كريم يومًا ما صديقًا لي أنا وجودي؟

تعودت ألا أستبق الأحداث، أو أتمسك باحتمالات لم تتضح قوتها بعد؟

هكذا علمتني يا أبي؛ ألا أتسرع، ألا أتعجل الأمور، وأن أتأنى.

السبت 12 مارس:

بعد حديثها اليومي المعتاد عن قناتها ومتابعة عدد المتابعين، وهل هو في ازديادٍ أم ثابت،تذكرت أن تسألني إن كنت قد أعطيت كريم المبلغ أمس، أجبتها أنه رفض رفضًا تامًّا، صمتت قليلًا على غير طبعها من الاندفاع في الحديث، ثم قالت:

- ما رأيكِ أن نشتري له هديةً بنفس المبلغ وأن نخرج اليوم لنختارها معًا؟

كانت فكرة جيدة، اتفقنا أن نلتقي في الخامسة قبل الذهاب للنادي.

***

الأحد 22 مايو

ها قد انقطعت ثانيةً عن الكتابة.

شغلتني مراجعة المحاضرات استعدادًا للامتحانات وجُودِي وإصرارها أن أشاركها أحيانًا تصوير بعض مقاطع الفيديو التي تُذيعها، وأن أحضر معها حين تقرر أن تقدم بثًّا مباشرًا، تحدثني بأن وجودي أمامها يبعث فيها الثقة، ويبث فيها الشجاعة للرد على ما يوجه إليها من تعليقاتٍ سخيفة تسخر منها، أو من المحتوى الذي تقدمه.

ثم قلقها الذي اعتدت عليه قبل فترة الامتحانات، توترها، ونوبات من القيء أحيانًا قبل دخول الامتحان، أو بالليلة السابقة له.

جرت هذه الأيام رغم صعوبتها بسرعة، كان وجود كريم أحيانًا يقلل من صعوبة هذه الأيام، خاصةً بكل ما كان يفعله من أجل جودي، ربما تفهّم طبيعتها المتذبذبة المتوترة دومًا كالوتر المشدود، وأنها حين تقع تحت أي ضغطٍ تتوتر وترتبك ويضيع تركيزها كله؛ فجهز برنامجًا لنا طوال فترة امتحاناتنا، كان يتعمد أن يتواجد في الجامعة صباحًا قبل دخولنا الامتحان، وينتظرنا بعده؛ لنتناول غداءنا في النادي، ثم يفاجئنا بتذاكر لحضور فيلم في السينما، أو حفل موسيقى في الأوبرا، وفاجأنا يومًا ما بجولةٍ في حي الحسين وشارع المعز، لتقرر جودي أن تُفرد حلقات على قناتها للحديث عن الأماكن الأثرية التي يمكن لأي أسرة زيارتها، والاستمتاع بجمالها بتكاليف بسيطة.

تعرف في هذه الفترة على بعض من زملائنا بالكلية، وبالنادي، كانت ابتسامته الودودة، وكلماته المرتبة المتسقة دومًا مع الحديث، وشخصيته الهادئة، مثار إعجاب البعض، حتى إن الكل دعاه لحفلة التخرج، التي سنرتب لها بعد إعلان النتيجة، كان هذا عامنا الأخير بالجامعة، وقد جعل كريم من فترة الامتحانات فترة لن ننساها أبدًا.

في آخر امتحان جمعنا، دعوتهما لقضاء يومٍ مع غادة في العين السخنة لكنهما رفضا؛ تعللت جودي برغبتها في النوم لفترةٍ طويلة استعدادًا لعودتها لتصوير حلقات للقناة، واعتذر كريم بسبب عمله بالمحل، لنذهب أنا وماما ومصطفى، وهشام وغادة.

كان يومًا جميلًا، استمتعت بقضاء الوقت مع مصطفى وهشام واللعب معهما، كنت في احتياجٍ لوقتٍ طويل أقضيه معهما وحدنا،

دون وجود والدهما الذي أصبح قلّما يغادر المنزل، وفي مكانٍ مفتوحٍ لنجري ونلعب، وليستمتعا معًا بالبحر.

رحت أتابع ماما وهي تسير إلى جوار غادة على الشاطئ في أجواءٍ لم تجمعهما منذ فترة، كانت أمي في احتياجٍ ليومٍ من الراحة، من البعد عن تلك الدوامة التي وضعها القدر فيها وارتضتها، لم تقاوم ولم تعترض.

رغم أن غادة هي الأصغر وكانت الأكثر تدليلًا لدى جدي حسب كلامهما إلا أنها نشأت ذات شخصيةٍ مستقلة؛ لديها القدرة على اتخاذ القرارات في سرعةٍ وحكمةٍ، تحسب كل الأمور بطريقةٍ عمليةٍ، تتحدى دومًا ما يواجهها، وتتحمل نتائج هذه التحديات.

حين رفضت كل من تقدم لخطبتها؛ انتظارًا لموافقة والد يونس على أن يتقدم لخطبتها، ورغم كثرة من تقدموا لها وتمسك البعض بها، كانت ترفض، وتنتظر يونس الذي تحدى والده رافضًا ضغطه عليه، لكونه يعمل معه وهو من يمنحه راتبه، وقرر الاستقلال وبدء عملٍ خاص به، فحتى لو تعثر به في البدايات سيحتمل ويكافح؛ لتترك غادة عملها وتستقيل من عملٍ حكومي ثابت؛ لتسانده في مشروعه، وترفض لعدة سنواتٍ محاولاته لإقناعها بالزواج دون مباركة أهله، كانت سنوات شبابها تمر وهي لا تزال على رأيها؛ ألا تتزوج دون موافقة أهله.

بينما كانت أمي دومًا هي الأسرع قرارًا، والأكثر ندمًا، لا تقاوم ولا تحتمل؛ حين توفي أبي شعرت أنها تائهة وسط طرقٍ كثيرة، لا تعرف

أي طريقٍ تسلك، وربما لم تُرِد أن تختار، كانت تنتظر من ينقذها، من يختار لها، من ينتشلها من تشتتها بعد وفاة أبي الذي كان يوفر لها كل ما تطلب، يساعدها في كل شيءٍ، رغم عمله صباحًا ومساءً، ورغم تفرغها للبيت منذ شهور حملها الأولى فيَّ.

نعم، حزنت لرحيل أبي المفاجئ الذي صدمنا وكسرنا، لم تستوعب رحيله، ظلت مشتتة لشهورٍ وشهورٍ، عادت لعملها بالمدرسة بعد أن وجدت أنه لا مفر من هذا مع ضآلة معاش أبي الذي لم يحرمنا يومًا شيئًا نحتاجه أو نشتهيه.

ربما لم تكن قد تجاوزت بعد صدمة رحيل أبي وما عانيناه بعدها، حين تقدم هذا الجار للزواج منها، هذا الجار الذي كان مستأجرًا للشقة المواجهة لشقتنا، كل ما نعرفه عنه أنه مطلق، وله بنتان تعيشان مع والدتهما، هذا الجار الذي لا أذكر أن أبي تحدث عنه يومًا أو صافحه في الشارع، هل كان والدي يتجاهله؟ هل كان يشعر نحوه بعدم الارتياح كما شعرت أنا حينها؟ لم أعرف، ولم أقرر أي شيء حينها، فلم يكن القرار لي، فهكذا حدّثتني غادة؛ أنه ليس لي أن أتدخل في قرار والدتي وأعترض، هي حياتها ولا بد أن تستمر، ربما عدم تقبلي للفكرة نفسها والتي أسقطتها حينها على هذا الرجل، ورفضي لفكرة أن يحل شخصٌ ما -أي شخصٍ- محل أبي في حياتها، وبالتالي سيتواجد في حياتي، هي ما جعلتني لا أشعر بارتياح تجاهه.

كنت حينها على أعتاب المرحلة الإعدادية، وكانت غادة لا تزال تنتظر موافقة أهل يونس على زواجهما، فاتخذت قرارها الذي

حدّثتني فيه أولًا؛ أن أعيش معها في منزل جدي، فوافقت بالطبع.

هكذا هي غادة، وهكذا هي أمي، أحبهما، أرى فيَّ الكثير من غادة، ولكني جزءٌ من أمي، أتعلم من غادة، وأشفق على أمي، أذهب لغادة لأستشيرها، لأستمع لرأيها، وأزور أمي لتحكي هي لي عن مشاكلها وهمومها وارتباك حياتها دومًا.

ترى، لماذا أكتب عن أمي كثيرًا اليوم؟

هل هي نظرة الحزن التي باتت لا تفارق عينيها؟

أم هذا الإجهاد الدائم الذي تحيا به، خاصةً بعد أن تقاعد زوجها عن العمل، ليفاجأ بأنه لن يصرف معاشه سوى عند بلوغ الستين من عمره؛ فيضطر للبحث عن عمل ليعمل شهرًا أو أيامًا، ويبقى شهورًا بلا عمل، لتضطر هي للعمل لتسد نفقات علاج مصطفى وهشام، والتزامات المنزل ودراستهما!

أم هي تلك الشعيرات البيضاء التي راحت تغزو مقدمة رأسها، والتي أشعرتني أنها تكبر، ويومًا ستصير عجوزًا تحتاج رعايتي، فهل سأكون إلى جوارها؟

وربما ترث عن والدتها هذا المرض اللعين؟ ربما يهاجم خلاياها ويحتلها دون سابق إنذار، فهى تتكاسل في إجراء تحاليل للكشف المبكر عنه، بينما لا تنسى غادة إجراء فحوصات وتحاليل سنوية لتتأكد من عدم اقتراب هذا الشبح من حياتها! هذا الذي تجسد في جسد جدتي، ثم اختطفها أمام أعينهم جميعًا.

وماذا عن مصطفى وهشام حينها؟ من سيقوم برعايتهما، بالاهتمام بحالتهما الصحية، والمتابعة الدورية لهما من فحوصات وتحاليل، لتحديد نسب وتركيزات الأدوية اللازمة لهما؟

وربما هو إحساسي بأنني تخليت عنها، حرمتها وجودي الدائم معها لتستأنس بي، لأساندها في تحمل أعبائها! ولكن هل كان هذا متاحًا حين تزوجت؟ وهل هو متاحٌ الآن مع تواجد زوجها شبه الدائم بالمنزل؟! والذي ما زلت أشعر تجاهه بالغربة وعدم الارتياح!

ربما يا أمي، أنا حقًّا مقصرة، لكنك حتمًا ستسامحينني؛ أنتِ تعرفين كم أحبك، ربما لم أقلها لك منذ توقفت عن النوم إلى جواري، واحتوائك لي، وكلماتك الحلوة عن أنني أغلى وأجمل ما حدث في حياتك.

لكنني أحبك يا أمي ما زلت، وسأظل.

أنا أحبك، وأحب مصطفى وهشام، وأخاف عليهما،أخشى أن يكونا يومًا دونك؛ فوالدهما لن يعبأ بهما كثيرًا، ولن يهتم بهما، كما لا يهتم بإخوتهم الأكبر من زواجه السابق، ولهذا كله فأنا أفكر وأخطط منذ ثلاثة أعوامٍ كي أحقق حُلمي.

حُلمي ببيتٍ يجمعنا أنا، وأنتِ، وهشام، ومصطفى، بيت واسع ونظيف، أحلم لهما بحياةٍ كريمة، لا يكونان فيها تحت رحمة قرارات العلاج على نفقة الدولة، تلك القرارات التي تتم الموافقة عليها مرة، وترفض مرات؛ أحلم بالعيش في بلدٍ يجدان فيه الرعاية الطبية في كل وقت، وتجدين أنتِ أيضًا رعاية صحية حين يتقدم بك العمر،

وتلك الحياة لن أستطيع توفيرها لهما ولنا هنا.

نعم، يا أمي، الهجرة، هذا ما أطمح إليه، وأسعى إليه وحدي وفي صمتٍ، ومنذ سنواتٍ ثلاث لا يشغل بالي سواها، وربما بعد عامٍ وليس أكثر سأسافر لأبدأ حياةً جديدة هناك، حياةً ستتسع وتكبر، لتنضمي إلِيَّ أنتِ، ومصطفى وهشام. من أجلك يا أمي، ومن أجلهما، كان كل ما أفعله في سنواتي الثلاث الماضية، الكثير من الإجراءات والاختبارات، ومراسلة جامعات أوروبية كثيرة؛ لأجد الفرصة، وها أنا أستعد لها.

ربما لهذا كتبت اليوم، وها أنا أقاوم دموعي، رغم أنني قضيت معكِ اليوم كله، وعدنا ونحن متعبون وفرحون بهذا اليوم إلا أنني أفتقدك، وسأظل، حتى يتحقق حُلمنا، حينها أرجوكِ اتخذي قرارك الصائب، ربما سيكون القرار الذي لن تندمي عليه، فسنكون أخيرًا معًا.

الثلاثاء 24 مايو

أفاقت جودي من الغيبوبة التي دخلتها،منذ انتهينا من الامتحانات، ساعات من النوم، تليها ساعات أخرى، حتى مر يوم ونصف وهي نائمة، حين أفاقت كان أول ما فعلته أن اتصلت بي:

«أريدك في أمر هام وعاجل».

ودومًا كل أمور جودي هامة، عاجلة، وملحة. سألتها أن تأتي، فلم أكن في حالة تسمح بالخروج من حجرتي، كنت مرهقة، مجهدة، ولأول مرة أعترف أني مشتتة، لا أدري لماذا!

رغم أن كل الأمور حولي ليس بها ما يعكر صفو ذهني ويؤثر سلبًا على نفسيتي، أشعر وكأن هناك شيئًا ما داخلي ليس في مكانه الصحيح.

انتظرت مجيء جودي، التي كانت جودي أخرى غير تلك النسخة الخاصة بفترة الامتحانات، جودي اليوم كانت مشرقة، فرحة، وهكذا هي حين لا تكون تحت أي ضغط، طاقة من النشاط والبهجة.

من نظرة واحدة لعينيها، أدركت أن هناك أمورًا بالفعل تستحق.

جلست إلى جواري على الفراش، غير ممسكة بهاتفها في يدها، وهذه إحدى علامات أهمية ما ستتحدث عنه، راحت تلقي مقدمتها المعتادة عن قناتها، والمحتوى الذي تقدمه، وأنها تعمل على تطويره دومًا، وبنظرة واحدة مني أدركت أن عليها الانتقال مباشرة لما جاءت لتخبرني به، لتبدأ حديثها بالفعل عنه.

مروان حسني، هذا الشاب الذي أرسل لها ليعرض عليها تطوير قناتها، وأن يكون مسؤولًا عنها مقابل نسبة من الأرباح، والتي أقنعها بل ووعدها أنها ستتضاعف مرات ومرات بالفترة القادمة.

حين سألتني رأيي، أخبرتها أن التجربة بالطبع لن تضرها، على أن تحاول صياغة عقد قانوني بينهما، ابتسامتها التي اتسعت في ارتياح أخبرتني أنها كانت مترددة كعادتها، وتريد من يطمئنها، سألتها إن كانت قد استشارت كريم، فأومأت برأسها إيجابًا، وقالت:

«كنت معه منذ قليل، سألني عن تفاصيل كثيرة في حديث مروان معي حتى اطمأن، وحدثني مثلك بأنها تجربة لا بد أن أخوضها

لأحكم عليها».

لتصمت لحظات طويلة،تتأملني، ثم تسأل:

- هل حدثكِ كريم اليوم؟

- لا، لم تسألين؟ هل اتفقتم على شيء ما اليوم؟

- لا، لكنكِ اليوم تبدين شاردة، كمن يفكر في أمر ما وعليه اتخاذ قرار فيه.

صمتت لحظة، ثم أضافت:

- ظننت أن كريم قد حدثك في شيء ما، وأنكِ تفكرين فيه.

بدا كلامها غير مرتب وغامض، تحاول الإفصاح وتخافه، تريدني أن أبدأ أنا الحديث، لكن لم يكن لدي أي حديث، لم يكن لدي سوى حالة من عدم الاتزان بلا سبب واضح، ربما فقدان الشغف، أو ترقب الإعلان عن بدء إجراءات السفر، وربما شيء ما لا أفهمه.

لم تكرر سؤالها ثانية، وعادت لحديثها الأول، لتحدثني بكل التفاصيل التي تحدثت فيها مع مروان حسني، وما عرفته عنه من السوشيال ميديا، مرجعها الأول والأخير في حياتها.

فوجئت باتصال من كريم -وهذا غير ما اعتدت منه، فمعظم أحاديثنا تبدأ عبر الواتس آب- يسألني إن كنت أستطيع لقاءه، كانت بلهجته شيء من التردد والحيرة، لم أسأله ما الأمر، فحتمًا سأعرف حين نلتقي غدًا، الغريب في الأمر كان نظرة جودي المهتمة المترقبة لكل حرف أنطق به، لكنني ما زلت في حالة لا تسمح بحديثٍ طويل

مع جودي، كي تصرح بما تخفيه عني.

الخميس 26 مايو

لماذا لم أكتب أمس؟

لأنني أردت أن أمنح نفسي ساعات من الهدوء والراحة، ومحاولة البحث عن الاسترخاء العقلي الذي أشعر بالاحتياج الشديد له الآن.

لماذا لم أكتب أمس؟

لأنني لم أعرف ماذا أكتب، وعن ماذا أكتب؟

عن كريم؟ عن حديثه وكلماته؟ عن كل هذا الكم من المشاعر الصادقة الحلوة التي حدثني عنها؟

أم عن نظرة عينيه لي، تلك التي قالت واستفاضت؟

عن هذا الإحساس الذي عشته وهو يروي لي كل يوم جمعنا، وكل كلمةٍ أو عبارة نطقت بها طوال الفترة الماضية وتركت داخله أثرًا؟

كلماته أشعرتني بمزيج من السعادة والبهجة والحياة... والخوف.

نعم، الخوف؛ فحين ترى نفسك متحققًا بهذا القدر لدى أحدهم يجب أن تخاف، أن تحذر، أن تتعامل بكل حكمة وحذر؛ فهذا التحقق يعني الكثير من المسؤولية، هذه كلمات أبي، نعم، ما زلت أذكرها.

كانت هناك في ركن قصي من عقلي لكنني تذكرتها اليوم وأنا أستيقظ صباحًا لأستعيد كل ما حدث أمس،كل ما عايشته من أحاسيس، وكل ما تلاها من أفكار في الصباح.

لماذا لم أكتب أمس؟!

لأنني كنت لا أزال أسبح وسط هذا البحر الذي أغرقني به كريم، وغمرني فيه، ورغم هذا ما زلت أحيا، وأتنفس!

ومن لا يتمنى الغرق وسط هذه الكلمات الصادقة والمشاعر الحلوة!

لماذا لم أكتب بالأمس؟

لأن كلماته صنعت داخلي نادين أخرى، أو ربما هي موجودة لكني لا أعرف عنها شيئًا، وهو من مد يديه لتتمسكا بها، وتظهر لي، هل ستستطيع إزاحتي واحتلال حياتي وحدها؟ أم أنها ستبقى وتتعايش معي؟!

هل ستغلب على تلك الأخرى التي كانت قبل دقائق من كلماته تلك، لا تفكر سوى في خطواتها القادمة، تشبع عينيها بكل ما تعيشه حولها، فهي حتمًا ستفتقده بعد شهور؟

هل ستستطيع طمس كل أحلامها لتحيا أحلامه، وتحيا معه؟

لا أعرف.

لماذا لم أكتب أمس؟

لأنني لا أعرف، تمامًا كما قلتها له حين سألني:

«هل تحبينني؟».

فأجبته أنا، وأنا أجبر نادين الأخرى على التراجع:

- لا أعرف يا كريم.

هل صدمته إجابتي؟ ربما.

كنت صادقة معه، هل قدر هذا الصدق حينها؟

ربما!

هل تفهم ما شعرت به من ارتباك وحيرة؟

لا، أعتقد؛ فقد أضاءت عينيه فرحتُه وهو يقول:

«أثق أنكِ ستعرفين الإجابة عن قريب، ستشعرين بها؛ فهي داخلكِ، ربما منذ التقينا».

ثم أحاطتني عيناه بطاقة من الاحتواء والشغف وهو يحدثني بكلماته الساحرة:

«يومًا ما سنتذكر هذا التاريخ، نضعه إلى جوار السادس من مارس، حين التقينا لأول مرة، لنحتفل بكل يوم جمعنا، وشهد فصول قصتنا التي لن تنتهي».

نظرات عينيه التي احتوتني في هذه اللحظة، والتي شعرت بها كحضن دافئ يلف وجودي وكياني، ويحميني، هو إحساس لم أمر به من قبل، إحساس طرد مني تلك الحالة التي ملأتني منذ أيام، حالة التشوش، الإحساس بشيء ما ينقصني، لا أدرى ما هو..

هل كان ما عشته معه، هو ما كنت أفتقده، وما أشعرني بالكثير من عدم الاتزان، انعدام الرغبة في أى شيء اعتدت أن أفرح أو ابتهج له؟!

هل كان ما عشته في تلك الدقائق... هو ما أعاد شيئًا داخلي إلى مكانه، فعدت لاتزاني، وشعرت بالاكتمال؟

لماذا لم أكتب أمس؟

لأن كل ما مررت به كان استثنائيًا، مبهجًا، حالِمًا، ومختلفًا، وأنا أخاف الحلم إن لم يمتزج بالواقع، أخافه أن يصبح سجنًا يأسر قلبي، ويسلبني راحة بالي، ويقيد أفكاري.

أخاف الحلم إن لم يقترب من الواقع، أخاف أن يسلمني لإعصار يلف بي دوامات كثيرة، فلا أصل لسماء حلمي، ولا أبقى على ثباتي على أرض الواقع، ربما عشت هذا الإحساس، أنني عالقة ما بين السماء والأرض، ما بين حلم أنعشته داخلي كلماته، وما بين واقع تناسيته تمامًا

وأنا أرافقه لبوابة النادي وكل العيون تتابعني، ترى حمرة وجنتي وارتعاش يديّ، وتسمع نبضات قلبي المتلاحقة، أو هكذا هُيئ لي حينها.

لماذا لم أكتب بالأمس؟

لا أعرف إجابة.

نعم، ولا أعرف إجابة سؤال كريم، وها أنا أعيده على نفسي..

فأنا أعرف أنه ينتظر، وأنا لا أشاء أن ينتظر طويلًا.

الجزء الثاني

عبر هذا التطبيق الأزرق

من محادثات منير وكريم

الأربعاء 27 أبريل

- كل سنة وأنت طيب يا منير.

- وأنت طيب يا كريم، ما آخر الأخبار؟

- لا شيء ولا جديد، نفس أرقام التحاليل السابقة لأمي، ونفس العلاج الذي أرسلته لك منذ ثلاثة شهور.

- والأعراض؟

- تتحسن والحمد لله.

- وأنت يا كريم، أين أنت؟

- أنا، ماذا بي؟!

- تعرف ما أعني.

- حاولت ألا أفكر بها، أن أشغل نفسي، ففشلت.

- لقد وقعت يا باشا.

- على ما يبدو يا منير.

من محادثات منير وكريم

السبت 21 مايو

- ولمَ لم تذهب؟! أنت في احتياج لتغيير الجو من حولك.

- جودي اعتذرت.

- وما المشكلة؟ ألم تجمعك بها من قبل لقاءات كثيرة دون جودي.

- أخاف أن تكتشف والدتها شيئًا ما، حين التقيتها من قبل كانت عدة دقائق، بعدها تركتهما وحدهما.

- وماذا عن غادة؟ لماذا لم تتحدث عنها؟ لماذا لا تشعر بالحرج في وجودها؟

- غادة ليست والدتها، أشعر بها كأختها الكبرى أو صديقتها، بل أشعر أحيانًا أنها تشعر بمدى حبي لنادين.

- لا أظن.

- لمَ؟!

- لأنها أبدًا لن تتوقع منك خطوة كهذه.

- لا أفهم، ماذا تعني؟

- أعني، ربما هي تنتظر اختيارًا آخر لنادين أو تتمناه.

- لكنها ليست والدتها.

- ولكنها من عاشت معها سنوات مراهقتها، وحتى اليوم.

- تعني أنها الأقرب لها؟

- ربما، ألم تسأل يومًا نادين عن أحلامها وطموحاتها؟

- ليس بطريقة مباشرة، لكنني أعرف أنها ستتقدم للحصول على دبلومة تسويق رقمي من الجامعة الأمريكية، هي فقط تنتظر أن تعمل لعدة شهور كي تجمع قيمة الدبلومة.

- ألا تساعدها خالتها ماديًّا.

- لا.

- حقًّا! هي تفضل إذًا الاعتماد على نفسها لتحقيق طموحاتها.

- نعم، وهذا يعجبني فيها كثيرًا.

- لو سألتها من تريد أن تكون، هل ستجيب: والدتها أم غادة؟

- هو سؤال غريب.

- بل هو سؤال هام، انظر لاختيارات والدتها واختيارات خالتها.

- تعني أنها قد ترى فارقًا كبيرًا بيننا، لا أظن، بيتها يشبه بيتنا، والدتها تشبه أمي، هذا الحي الذي تربت فيه قريب من حينا.

- ولكن ربما أحلامها كأحلام غادة، واختياراتها، فلتفكر ثانية يا كريم.

من محادثات منير وكريم

الإثنين 23 مايو

- هل فكرت يا كريم؟

- ماذا تقصد يا منير؟

- أن تفكر من جديد، وتنتظر الوقت المناسب.

- لقد انتهت من الامتحانات.

- أعني، الوقت المناسب لك أنت.

- أخاف أن يضيع ما بيننا، أو يتغير.

- ما بينكما الآن صداقة، لن تضيع أو تتغير.

- أنا أحبها.

- امنحها الوقت لتشعر هي أيضًا بهذا.

- أشعر أنها تبادلني نفس الإحساس، لم تر كيف كانت تتعامل معي حين دعتني للفيلا، كانت فرحة ومنبهرة بكل ما فعلت.

- لأنك خلصتها من مشكلة كانت ككارثةٍ بالنسبة لها.

- وماذا عن هذه الهدية بعد أيام من تعارفنا؟!

- هي تقدير منها لما فعلت من أجلها، تذكر أنك رفضت أن تأخذ أي أجر منها.

- ما الذي تحاول إقناعي به يا منير؟

- أن تتأنى.

- أعتقد أنها حين تعرف كم أحبها، ستتحرك مشاعرها نحوي.

- وربما تكون نهاية صداقة جميلة، اجتهدت لشهور للحفاظ عليها.

- وما زلت أستطيع أن أفعل أكثر من أجلها.

- ها قد قلتها يا كريم، تستطيع أن تفعل من أجلها الكثير، فلتنتظر بعض الوقت.

ينهي حواره مع منير، لا ليعود إلى ما حوله، بل ليغيب مرةً ثانية عن كل ما حوله، ولا يُفكر سوى بها، صار لا يرى سواها، صارت حياته هي تلك الأوقات التي يكون فيها إلى جوارها، وما عدا هذا من باقي يومه فهي فترات بينية، فترات انتظار.

راح يُقوي علاقته بجودي من أجلها، يهتم بجودي كي يعرف أكثر عنها، يطمئن عليها حال غيابها من جودي، ولكن نادين دومًا الأكثر صمتًا، والأقل حديثًا، تترك معظم المساحات لجودي وله، تستمع كثيرًا، وأحيانًا تشردُ في عالمٍ آخر، عالم يتمنى لو صار جزءًا منه، تمنى لو أنه يستطيع دخول هذا العالم، الاطلاع على ما يقيم خلفه، ما يشغل بالها، ما تهتم لأجله، تمنى لو أنه يشغل ولو مساحة بسيطة من هذا العالم، مساحة تكون له وحده، ومنها سيستطيع أن يحتل مساحات أكبر..

ترى هل في حياتها شخصٌ آخر؟

تصدمه هذه الحقيقة، تقتله، ترى هل من الممكن أن يكون هناك شخص آخر في حياتها؟

الفكرة نفسها، مجرد التفكير فيها يوجعه تؤلمه، تكاد أن تقتله رغم أنها مجرد احتمال، لا تدعمه أي دلائل، ظلّت هذه الفكرة تؤرقه طوال ليلته، حتى إنه لم يغفل سوى سويعات قليلة، وليتخلص من هذا الهاجس الذي يؤرقه قرر أن يتحدث إليها.

الأربعاء 24 مايو

كريم محمود

خائفًا متوترًا كان ينتظرها، يتلاشى خوفه كُله، وتزهر أرض قلبه التي عانت الجفاف طويلًا حين يراها آتية، تقتربُ منه، تمنحه حلمًا بزرقة عينيها، يحيطه ويغمره، ويبعث فيه ثقةً وأملًا.

مر الوقت سريعًا في وجودها، بالقرب منها، تطايرت شجاعته، وراح يتحدث عن كل شيء، ولا يقوى على الحديث بما أتى من أجله، راحت تستمع له في اهتمام كعادتها، ولكن وميضًا في عينيها ينتظر، ينتظر أن تعرف.. وبالأخير سألته وابتسامتها الساحرة تغرق ملامحها الرقيقة..

- وماذا بعد يا كريم؟ لقد رويت لي أحداث الأمس وأول أمس، لقد حدثتني....

- أنا أحبك نادين.

قالها فجأة، قطع حديثها، لتختفي كل تعبيراتها، وتتسع عيناها في دهشة، تستمر للحظة سرعان ما تطيح بها ابتسامتها الخجولة، وحمرة خفيفة تعلو وجنتيها، وتلتفت يمينًا ويسارًا باحثة عن لا شيء، هي فقط تهرب بعينيها منه.

ينظر إليها في شغف، في وله، وفي ترقب طفلٍ يقف في شرفة منزله ينتظر عودة والده، حاملًا كل الألعاب التي بات يحلم بها، تخفضُ رأسها أرضًا، لا تتحدث، بينما يبدأ هو حديثًا طويلًا، حديث

عشقٍ سكنه حتى تملكه، وسيطر عليه حتى ساده.

عشق جعله يرفع رايته البيضاء منذ أطلت عليه بسحرها الأزرق، ليمضي لياليه ناسكًا في محرابها، يدعوها أن ترضى عنه ليقترب أكثر، لتمر أيامه بجوارها حائرًا، خائفًا يترقب، يتمنى أن تشعر، أن تدرك، أن قلبه ينبضُ باسمها في كل ثانية وفي كل نبضة.

يشعر وهو يغادر بوابة النادي، بعد أن ودعته دون أن تصافحه، أنه ملك العالم كله، أنه لا يريد أن يمشي أو يستقل تاكسي أو حافلة عامة، يشعر أنه سيطير إلى السماء ويبلغ السحاب ويلمسها بيديه، لا يريد العودة للمنزل أو المحل، أو أي مكان بالعالم، هو لا يريد إلا أن يمر الوقت، بعض الوقت، ليحدثها، ليسمع صوتها، ويستمتع بكلماتها القليلة، فحتى صمتُها له رنينٌ جميل يسمعه بقلبه.

محادثة جودي ونادين

الأربعاء 24مايو

الحادية عشرة والنصف مساءً

- جودي، أتصل بكِ منذ ساعة، رقمك مشغول.

- آسفة يا نادين، كنت أتحدث مع مروان، له أسلوب غريب في التواصل.

- كيف؟

- حدثني أنه حتى نلتقي لن نتواصل على الواتس أو الماسنجر.

- ومتى ستلتقيان؟

- بعد ثلاثة أيام، سيعرض عليَّ حينها صيغة التعاقد، ويترك لي يومين لأرد عليه، ثم نبدأ العمل حال موافقتي.

- يبدو جادًا فيما يحدثكِ به، لكن لا بد أن تتخذي كل حذرك.

- بالطبع، وهو نفسه حدثني بهذا؛ أنني لا بد أن أكون دومًا على حذر، لهذا ترك لي ثلاثة أيام لأدرس الفكرة، ويومين لأقرأ التعاقد.

- أشعر أنكِ خائفة.

- لست خائفة، لكني أشعر أنني على أعتاب مرحلةٍ أخرى، ومسار أكثر حرفية والتزامًا.

- وأنتِ تكرهين الالتزامات والقيود.

- حدثني بأنه لا شيء دون مقابل.

- تعرفين هذا.

- لكن لم يكن في حساباتي كل ما تحدث عنه.

- لكنكِ ستستطيعين، أنا واثقة من هذا، هو نفسه يعرف هذا، وإلا لما تواصل معكِ.

- لست وحدي، لقد تواصل مع أصحاب قنوات أخرى.

- هو من أخبرك بهذا؟!

- نعم، إنه شخص واضح لأقصى حد في عمله.

- ثقي به إذًا، فنجاحك يعني نجاحه.

- أتمنى.

- سأتركك لتنامي، لا شك أنكِ تشعرين بصداع بعد كل هذا الحديث الطويل مع مروان.

- فعلًا، سنلتقي غدًا.

- بإذن الله.

محادثة كريم وناين

الواحدة صباحًا

الخميس 25مايو

- نادين، هل نمتِ؟

- لا، كنت أقرأ.

- والكتابة؟

- هي حديثي لنفسي وليس للآخرين.

- كنتِ جميلة بالأمس، أنتِ جميلة كل يوم.

- تذكر أنني لم أجب عن سؤالك بعد.

- سأسمع إجابته قريبًا، واثق من هذا.

محادثة جودي ونادين

الجمعة 26 مايو

الثانية عشرة صباحًا

- جودي، ستتناولين الغداء معي.

- ماذا ستعد نعمة لي؟ لا بد أن أعرف أولًا.

- فلتتصلي أنتِ بها، ولتطلبي منها ما تشائين، سأنتظرك.

- تمام.

تجلس إلى جوارها، تحتسيان كوبين من الشاي الأخضر، بعد أن شكرتا نعمة على الغداء الشهي الذي أعدته لهما. تسألها نادين:

- كنتِ تعرفين ما سيُحدثني به كريم.

تحاولُ إخفاء ضحكتها وهي تقول:

- نعم، كنت أتوقع أن يصارحكِ بعد الامتحانات لو أنكِ لم تلحظي شيئًا كهذا، فيجب أن تذهبي إلى طبيب عيون!

ثم تحاول أن تتحدث بجدية:

- وأنتِ، ما إحساسك به؟

تلتفت عن جودي لتنظر للحديقة أمامها، وهي تحدثها في حيرة:

- لا أعرف، حقًا لا أعرف، هكذا أجبته، حين سألني عن مشاعري..

تصمت للحظات، وكأنها تستعيد كل ما حدثها به، وكل ما عاشته، فتزداد ارتباكًا، لتحدث جودي بما يدور داخلها:

- أشعر بصدق حديثه ومشاعره، ولكن هل هذا يكفي؟!

- لا أفهمكِ يا نادين، لقد صارحكِ بمشاعره وينتظرُ ردكِ الواضح، هل تبادلينه هذه المشاعر؟ ألم تسألي نفسك؟! هذا سؤال ليس له سوى إجابة من اثنتين لا ثالث لهما.

لا تزال نادين تنظر للحديقة في شرود وحيرة، جودي تسألها الوضوح، وهي فعلًا غير واضحة، لا تعرف أين هي مشاعرها، أو لماذا لم تصم أذنيها عن كل ما تسمعه من كلمات غزل صريحة وواضحة، ولم تهتم بنظرات الإعجاب الواضحة، هي لا تترك لأحد المساحة ليقترب منها إلا في حد صغير جدًا، هي لا تريد أن يراها أحد، أو أن يعرفها أحد.

هي لا تريد من هذا العالم سوى الشعور بالانتماء، وكيف ستنتمي لشخص أو مكان وهي لم تنتمِ لجذورها؟! تريد من يعوضها إحساسها وهي تجلس آمنة إلى جوار أمها في انتظار والدها، تريد أن تنتمي لأخويها، وأن يستشعرا أمانهما معها، تريد أن تعيش كل هذا أولًا وتتشبع به، حتى تستطيع أن تنتمي لشخص آخر.

تشعر بنفسها في قطار، لا تستطيع النزول منه إلا في محطة حددتها من قبل، منذ سنوات، ربما منذ وفاة والدها، أو بعد زواج والدتها، أو بعد اكتشاف مرض مصطفى وهشام الذي تعاني والدتها كثيرًا بسببه، بينما لا يكترث والدهما بأي شيء ويترك الأمر كله لوالدتها.

تشعر بنفسها دومًا داخل هذا القطار، وكل ما تراه من أحداث تدور

خارجه، لا يمكنها التوقف والنزول من أجلها، لا بد أن تصل أولًا لوجهتها، ربما تعوض ما فاتها في محطات لم تتوقف عندها، وربما لا، لكن كل ما يهم الآن هو الوصول، فهذه غايتها وحلمها الآن وحتى تصل إليها لن تلتف لغيره.. ولن..

- ألا تسمعينني يا نادين؟ هاتفك يرن.

- لا يهم.

تقولها، ثم تعود للنظر إليها، لتحدثها في شيء من الحزن:

- جودي، سأطلب منك خدمة، أريدك أن تتحدثي إلى كريم.

- تتراجع برأسها للوراء، لتحدثها في صدمة ورفض:

- لا أستطيع يا نادين، صدقيني لا أستطيع.

- ستفعلينها من أجلي، أعرف أنه يستريح إلى الحديث معكِ.

- يحدثني باعتبارنا أصدقاء يا نادين، ما صارحك به هو شيء آخر لا أستطيع التدخل فيه.

- أرجوكِ!

قالتها نادين في رجاء حقيقي، كانت جودي تريد أن تفهم، أن تعرف، ولكنها أيقنت أن نادين قررت ولن ترجع عن قرارها، ولن تبرره، على الأقل الآن؛ فهي تبدو في حالة غريبة لم ترها من قبل، هي على وشك البكاء، والحزن يسكن عينيها حينًا، وحينًا يعبرهما طيف من الفرح وهي تنطقُ اسمه.

تبقى جودي معها لساعة أخرى، لا تتحدث عن كريم، ولا تسألها عن تلك الرسالة التي ستحملها إليه، الرسالة واضحة، هي ردها، تحكي لها عن مكالمتها مع مروان، وعن شخصيته العملية الجادة، تملأ فراغ الوقت بأي أحاديث تعرف أن نادين لا تستوعب منها شيئًا، ولكنها لا تريد أن تتركها وحدها. انتظرت حتى عادت غادة التي أرسلت لها نظرةً متسائلة، ولكن جودي لم تُبد أي إيماءة أو تلميح. لقد غادرت الفيلا وهي قلقة على نادين، وتحمل عبء مقابلة كريم، وهذه المهمة القاسية.

محادثة كريم وجودي

السبت 28 مايو

الخامسة مساءً

- جودي، مساء الخير.

- كريم، كيف حالك؟

- بخير، أتصل بنادين منذ أمس ولكنها لا ترد.

- كانت تزور والدتها ووجدتها مريضة، فذهبت معها للمشفى، لقد عرفت من غادة؛ فهي لا ترد على اتصالاتي أيضًا.

- ما رأيك أن نذهب لزيارة والدتها؟

- لا أعتقد أن الأمر يستحق، سأقابل مروان اليوم في السابعة لأستلم منه نسخة العقد الذي يوثق عملنا كما يقول، ما رأيك أن نلتقي بعدها؟!

- سأحاول.

- تمام، سأتصل بك فور أن ينتهي لقاؤنا.

***

لم تتخيل جودي أن ترى كريم يومًا في هذه الحالة، لقد انتقت أنسب رد تستطيع قوله: «فلنبق صديقين» بعد أن ساقت مقدمة طويلة عن تقديرها له، وللصداقة التي جمعتها به، وعن ثقتها بصدق مشاعره نحو نادين، ولكنها اختارت أن يظلا أصدقاء.

هذه العبارة التي ما إن سمعها شحب وجهه لدرجة رهيبة، واتسعت عيناه في فزع وليس ذهولٍ فقط، مرت اللحظات بطيئة وهي تنظر إليه في جزع وخوف، تكاد تسمع صوت أنفاسه التي تسارعت وكأنه على وشك الاختناق، توترت، لا تدري ماذا تفعل، سألته في اهتمام وحنو:

- كريم، ماذا بك؟ هل أنت بخير؟!

- بخير، فقط أريد أن أكون وحدي من فضلك.

قالها بصعوبة وهو يغمض عينيه، وينظر للأرض. تشعر بدموعه دون أن تراها.

نهضت قائلة:

- سأتصل بك يا كريم، أريد أن أطمئن عليك.

لا تنتظر رده، تغادره وهي تبكي دون أن تشعر.

مسافات ما بين الأخضر والأزرق

ما بين صفحات أجندتها الخضراء وصفحات هذا التطبيق الأزرق.

ما بين أحاديثها الصادقة مع جودي على هذا التطبيق الأخضر، وعناوين ملأت قنوات على هذا التطبيق الأحمر.

ما بين الصدق والزيف، دومًا مسافات ومسافات..

مسافات شاسعة

الفصل الخامس

في المشفى.. بعد ساعات من الهاشتاج

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

1

لا تقوى قدما أمينة على الوقوف، لا تشعر بجسمها، تفقد السيطرة عليه وعلى اتزانها، لتسقط فاقدة الوعي فور أن تغادر السيارة، تنحني غادة لتركع إلى جوار أمينة، تنظر إلى أختها في فزع، تسند رأسها على كفها، وتمسك بالأخرى كفها التي كانت شديدة البرودة.

تجري نعمة نحو أقرب شخص يرتدي زي رجال الأمن بالقرب من بوابة المشفى، تستنجد به، فيصيح مناديًا شخصًا ما بالداخل، ليسرع هو وزميل له لإسعافها.

بينما كانت جودي بداخل السيارة، لا تسمع شيئًا مما يحدث خارجها، ولم تلحظ أن الجميع قد غادروا السيارة، كانت يدها تمسك بهاتفها في ذهول، وعيناها لا تريان سوى هذا الإشعار الذي يخص قناتها.

هذا التنويه الذي يعلن عن فيديو يكشف كل حقائق واقعة نادين وكريم بعد ساعات، و«انتظرونا»، ثم عدة أسطر:

(انتظرونا لنتحدث عن الواقعة التي أدت إلى وفاة كريم، وإصابة نادين صديقتى المقربة بشرخ في الجمجمة، وإصابة في العمود الفقري، وبعض الجروح بالوجه واليدين، حين سقطت سيارة كريم من أعلى ارتفاع للكوبرى.

هل تعمَّد أن يقتُل نادين بعد أن قرر الانتحار؟

أم أنه تأثير مادة كان قد تناولها قبل وقت قصير أفقدته السيطرة

على عجلة القيادة؟

أم هي مجرد حادثة تزامنت مع قرار كريم ووجوده مع نادين؟

لِم التقى بنادين رغم انتهاء قصتهما؟

كل هذه الإجابات وتفاصيل أكثر، بعد ساعات معي أنا جودي الجمال، صديقة نادين بطلة القصة التى سأحكيها كاملة لكم، قصة كريم ونادين).

تدرك أن مروان من فعل هذا، تتحجر الدموع في عينيها وقد ثبتت على شاشة الهاتف المشروخة، تشعرُ بمزيجٍ من كل المشاعر الغاضبة الثائرة على ما تراه وما كتبه.

يهتز الهاتف في يدها ليظهر اسمه، فتسرع بالرد، ليحدثها قبل أن تُطلق عليه بركان غضبها، ليقول في حماسة:

- جودي، لقد تخطت قناتنا مليوني متابع منذ نشر خبر نادين، عرفت من والدتكِ أنكِ في المشفى، أنا في الطريق إليكِ، سنذيع بثًّا مباشرًا من هناك.

لا تجد ما ترد به، لا تجد من الألفاظ ما تصفه به، إنه حتى لم يسألها إن كانت بخير أم لا، لم يسألها عن نادين.

هي في نظره كالكاميرا أو جهاز المونتاج؛ مجرد أداة لكسب المال، أداة يحركها كيف يشاء ليحصد أكبر مكاسب.

ثورة من الغضب تشعر بها نحوه، تصبُّ كل غضبها وثورتها في حديثها إليه بصوت صارخ وهي تقول:

- فلتمسح كل هذا العبث الذي كتبته، ولا شأن لك بقناتي منذ هذه اللحظة، واعتبر تعاقدنا لاغيًا.

لم يصمت كعادته في أوقات غضبها، بل عاجلها بعبارة واحدة، وبصوتٍ خال من أي انفعالات:

- إذًا؛ استعدي لدفع مبلغ الشرط الجزائي لفسخ العقد من جهتك.

- فلتذهب للجحيم أنت وتعاقدك.

أنهت المكالمة، لتنفجر من جديد في البكاء وهي ترى المسعفين يحملون والدة نادين على حمالة الإسعاف إلى داخل المشفى.

2

أجواء صاخبة وحركة دائمة، وازدحام من يعرفون، ومن يريدون أن يعرفوا ممن يتعاملون مع الحدث بحكم مهنتهم، فتختلف ملابسهم ما بين أبيض لمعاطف الأطباء، وزي الشرطة، وأخضر يخص التمريض، وأزرق يخص عاملات النظافة ورجال الأمن، وآخرين من محبي التجمع حول كل حادثة، والتقاط صور تذكارية لأجساد أشخاص فارقتهم أرواحهم أو فقدوا وعيهم ليصبحوا منتهكين، معدومي الخصوصية، ومباحين للتصوير، في أي وضع وأي ظرف، ثم بثّ كل هذا عبر صفحاتهم ليحصدوا المزيد من اللايكات والتعليقات!

الكل يريد أن يعرف، أن يشاهد، أن يسجل تلك اللحظات بهاتفه دون أن يدرك أنه اليوم يحمل هاتفًا ليصور، وربما بالغد يتزاحم شخصٌ آخر ليلتقط له صورة دون مراعاة لإنسانيته أو حرمته.

ما بين أمينة فاقدة الوعي، وغادة شاحبة الوجه، التائهة بين أختها والسؤال عن نادين، ونعمة الباكية التي تنهر بشدة كل من يحاول الاقتراب أو التصوير، أو سؤالها عن الواقعة، لتصرخ في كل من يقترب منهن يريد معلومة، أو يسأل سؤالًا، أظهرت نعمة من قوتها وغضبها ما عجزت جودي عنه. تعرف بعض تلك الوجوه المتجمهرة حولهن بالقرب من الاستقبال، هم مراسلون لبعض المواقع الإخبارية، وبعض المؤثرين كما يقال عنهم، حضروا بأنفسهم لبث لايف من الموقع.

نعم، جودي تعرف البعض، ألم يكن مروان مثلهم! يتتبع الأخبار، وينبش لمعرفة المعلومات غير الشائعة ليصوغها في اسكريبت مشوق، تنطق هي به عبر قناتها لتحصد المشاهدات، والمكاسب من بعدها، مثلهم!

تشعر بغصة في حلقها، وألم اعتصر قلبها، هل كان مروان أو أشخاص يعملون لحسابه ينتهجون هذه السلوكيات من أجل الفوز بسبق خبري أو صور حصرية أو حوارت مع العاملين في المكان وأهالي الضحايا؟!

تنفض عن رأسها تلك الأسئلة التي ستؤلمها إجاباتها، تغادر السيارة، وتغلق الباب خلفها، لتحاول اجتياز تلك التكدسات من حاملي الهواتف، أو بعض العاملين بالمشفى، وهي تتهرب من عدسات الكاميرات وتلك الهواتف المرفوعة لتسجل، توثق لحظة انهيارها، تبحث عن أي من لابسي المعطف الأبيض لتسأله عن نادين، فهي لا تعرف حتى الآن سوى ما قرأته عنها في صفحات السوشيال ميديا التي لم تعد تثق بها!

تترك نعمة هذا المهرجان المخزي الذي نصب في ساحة المشفى، لتجري للداخل خلف والدة نادين وغادة، بينما تحاول جودي الهروب من هذه الجموع، وشقَّ طريقها وهي تنظر أرضًا في ضيق وغضب مما يحدث حولها، حتى تصل لباب المشفى الداخلي.

تقترب من رجل الأمن، تحدثه بأنها صديقة نادين، تود أن تعرف أين هي، ليرفع هذا الشاب الثلاثيني بصره لها في انبهار:

«حضرتك جودي الجمال! أنا من متابعيكِ منذ حادثة تلك الطالبة التي ذبحها زميلها، لقد كنت...».

تقاطعه في نفاد صبر:

- أرجوك اسمح لي بالدخول؛ أريد الاطمئنان عليها.

يجيبها في سرعة، وبلا اكتراث :

- هي بخير، بخير، في رعاية المخ والأعصاب.

ثم يقف ليتحدث إليها في اهتمام:

- ألن تصورى معي؟ أنا جاهز للحديث.

- سأفعل بالتأكيد، ولكن بعد أن أطمئن عليها، أرجوك، دعني أدخل.

تحدثه في نفاد صبر، ورجال أمن آخرون خلفها، يمنعون بعض المتجمعين من الوصول لباب المشفى.

يسمح الشاب لها بالدخول أخيرًا، وهو يقول:

- الدور الثاني، رعاية المخ والأعصاب.

تمتمت بالحمد لله وهي تجري نحو أقرب سلم لتقفز درجاته في لهفة، لتقف في الدور الثاني، تبحث بين اللافتات المعلقة يمينًا ويسارًا، عن رعاية المخ والأعصاب.

3

في جانب آخر من المشفى، بجوار هذا المبنى الصغير ذي الطابق الواحد، كانت هناك تجمعات أخرى يسودها الحزن والوجع، ورغم هذا لم تخلُ من الهواتف المرفوعة لتصور عن بعد انهيار والدة كريم وأخته، وكل من يرافقهما من شباب ورجال.

يلف الحزن والوجع المشهد كله، وهم واقفون أمام ثلاجة المشفى، يرجو سعيد العاملَ المسؤول أن تلقي عليه والدته نظرة أخيرة قبل أن تنقل جثته لمشرحة زينهم، لاستيفاء بعض الحقائق من عدمها ولأخذ عينات من دمه.

يشفق العامل على والدته من مشهد كهذا، لقد مرت عليه الكثير والكثير من الحوداث وحالات الوفاة، ولكن تلك السيدة بطيبتها وحزنها الصامت نادرًا ما يرى مثلها؛ فهي لا تصرخ، ولا تنطق، فقط تتمتم بالدعاء له، ترى سحابة من الدموع في عينيها، يمنعها عن البكاء أو الصراخ صبر تجاهد نفسها به، واحتساب ورضا بقضاء الله، هذه السيدة لا يستطيع أن يخذلها، هو وحيدها كما عرف، وهو شاب دمث الخلق وخدوم.

تعلم هذا العامل خلال عمله لثلاث سنوات فقط أن يعرف ويشعر بمن يدخل تلك الثلاجة، يعرف جزءًا من قصته وهو يستلم جثمانه من الممرضين، وهذا الجزء قد يصدقه وقد لا يضعه في الاعتبار، جزءٌ آخر من قصته يشعر به من جثمانه وملامح وجهه، وهو ما اعتاد الوثوق فيه بحاسته وإحساسه، وجزء أخير ممن يأتون

لاستلام جثمانه أو إلقاء نظرة أخيرة عليه.

هذا الشاب الذي يدعى كريم هو شاب لا يستحق الموت، أو بعبارة أخرى، لا يستحق الموت من هم مثله؛ تنطق ملامحه بالطيبة والسكينة، يشبه والدته في ملامحها وصفاتها وإيمانها، يقال إنه قد انتحر.

ربما هذه حقيقة وربما لا، هذا مما تعلمه من عمله هنا؛ ألا يصدق كل ما يقال، هو الآن يصدق كل ما يراه، هذا الحزن المسيطر على كل هذه الجموع التي أتت مع والدته وأخته، من شباب ورجال وسيدات، يقفون إلى جوارها، يواسونها، ويدعون له بالرحمة والمغفرة.

يشفق على والدته من رؤيته في هذا المكان الكئيب البارد، وأن تكون آخر مرة تراه وهو جثمان راقد أمامها، يحمل وجهه آثار الحادث من تجمعات دموية وجروح، لكنه لا يستطيع أن يرفض رجاءً من أم مثلها.

جميعنا يحسب أن أبناءنا هم من سيودعوننا، لتأتي الطامة الكبرى، فيشاء القدر للبعض أن يودعوا هم ابنًا من أبنائهم!

يسمح لها بالدخول هي فقط، ولكن جميلة تصر أن تدخل معها، هي لن تترك أمها وحدها تواجه موقفًا كهذا، وأمام إصرارها يقنع سعيد العامل أن ترافقها، فيذعن له من أجل تلك السيدة الحنون الصابرة على ابتلائها في صمت وإيمان بقضاء الله.

4

تجري إليه فور رؤيته بالقرب من باب قسم الاستقبال، ترتمي في حضنه باكية بانهيار:

- نادين ضاعت مني يا يونس، وأمينة فاقدة الوعي، لا أحد يريد أن يخبرني ما بها.

يربت على كتفها في حنان وهو يحاول التماسك، يترك لحظات لها لتفرغ توترها، لا يهتم لنظرات من حوله فلا يهم سواها. تمر لحظات وهي ساكنة بين ذراعيه، ثم يحدثها:

- نادين بخير، هي في الرعاية المركزة، إن شاء الله ستعود إلينا قريبًا!

تبتعد خطوة عنه، وترفع بصرها والدموع تملأ عينيها وتسأله:

- حقًّا ما تقول، نادين لم تمت، سأذهب لأبلغ أمينة، ستسعيد وعيها فور أن تعرف.

وتتركه لتجري إلى أمينة التي لا يزال الطبيب والممرضة بجوارها، يثبتان لها أشياء لا تفهمها في يدها وذراعها، وعلى وشك أن يضعا على وجهها قناعًا لمدها بالأكسجين، حين اقتربت منها لتقول لها، وكأنها واعية تسمعها:

- أمينة، أفيقي، نادين بخير.

تقترب ممرضة أخرى، لتمسك بيدها قائلة في تعاطف:

- وجودك إلى جوارها سيعطل الأطباء عن عملهم، ستكون بخير، يمكنك الاطمئنان على نادين، فهم يطلبونك في الرعاية ليطمئنوك عليها، ولتوقيع بعض الأوراق.

لا تنظر لمحدثتها، لا تراها، لا تلتفت إليها، وبصرها معلق بأختها الغائبة عن الوعي، والتي تتنفس عبر هذا القناع الأزرق، تشعر بذراعه يحيط بها ويدفعها للسير معه وهو يحدثها في حنو:

- سنترك أمينة الآن، ونذهب لرؤية نادين، هيا بنا.

5

تخرج من هذه الغرفة الملاصقة للثلاجة وهي تكاد تسقط فاقدة الوعي.

أي كلمة تصف ما تمر به تلك المرأة التي تتحامل على نفسها لتقف؟

وقد رأت منذ لحظات وحيدها الشاب، الذي ملأت ابتسامته أيامها طفلًا، ثم شغل بالها صبيًّا، تحرص على تنشئته قويًّا خلوقًا حريصًا على أخواته، ثم احتل قلبها شابًّا ترى فيه سندها، وتفرح به وهو يسألها الدعاء له ويتمنى رضاها عنه، رأته اليوم جثمانًا فارغًا من الحياة، جسدًا ملفوفًا بقماش أبيض عليه بقع من دمها الذي كان يجري في دمه، رأت وجهه البهي وقد تداخلت ملامحه ما بين جروح وتجمعات دموية.

تستند إلى يد جارتها التي انتظرتها بالخارج لتحتويها في حضنها وتحدثها:

«ابكي يا حبيبتي، لا تكتمي حزنك، ابكي يا أم كريم».

كانت جارتها تحاول أن تجعلها تعبر عما داخلها، تخشى إن دفنت انفعالاتها أن يحدث لها شيء ما يؤثر على قلبها الضعيف، فتصيبها جلطة أو أي شيء آخر.

إلى جوارها تسير جميلة بعينين ذاهلتين، هي لا ترى شيئًا ولم تر شيئًا، هكذا تتحدث لنفسها، تنظر لسعيد بنظرة خالية من التعبير وتقول:

«متى سيعود كريم يا سعيد، هو أخبرني أنه قادم، سينزل لشراء الملابس لنا كما كان يفعل دومًا».

يمسك بيدها محاولًا سحبها، محاولًا دفعها للسير بعيدًا عن كل هذا الصخب حولهما، ينظر في غضب إلى كل من يحاول الاقتراب منهما هي ووالدتها، فتزجرهم نظرته المحذرة، ويخشون هذا الجسد الرياضي القوي فيبتعدون، لكن يبقى رجلٌ هناك، على بعد أمتار، رجل يذكر أنه شاهده من قبل، يحاول التذكر متى ولكن يفشل، رجل يرقبهم جميعًا، وخاصة جميلة التي تسير إلى جواره، غير واعية بأي مما يحدث حولها، يقترب هذا الرجل منها، لتتطابق صورته مع صورة تذكرها الآن، إنها صورة والد كريم وجميلة.

ترعبه الفكرة، يحمل وجهه نفس ملامح تلك الصورة المعلقة في صالة منزلهم لكن مع أثر سنوات مضت، وهم في طريقهم إلى البوابة الخلفية التي دخلوا منها يراه ينتظرهم، يتجاهل تمامًا والدة كريم، يقترب من جميلة ويحاول أن يحتضنها، ولكنها في حالة من الجمود، لا ترى لا تسمع، ولا تعي؛ فيحدثه سعيد في تحذير:

- هي مصدومة الآن، من حضرتك؟

- أنا عمها يا بني، أريد الاطمئنان عليها.

يحاول سعيد أن يتفهم الأمر، أن يستفسر، ولكن الوقت والظرف لا يسمحان، فيصمت ناظرًا في تساؤل إلى والدة كريم التي كانت تسير في بطء مستندة إلى أم جورج جارتها، ما إن اقتربت ورأت وجه هذا الرجل، حتى صاحت فيه:

«لماذا أتيت اليوم؟ ها؟ ما الذي تريده منا!».

يصمت الرجل لحظة، لا يفهم سعيد ما يحدث، لم يحدثه كريم عن عم له يشبه والده لهذه الدرجة، ولِم تعامله والدة كريم هكذا؟

وقبل أن يسأل أيًّا منهما أي شيء، ينطق هذا الرجل بعبارة تزيد من ارتباك الموقف، وهو ينظر لوجهها في غضب وثورة يحاول السيطرة عليهما:

- جئت لأخد بنات أخي، عرضنا لن يصونه غيرنا.

- ألم تتذكرهن سوى اليوم! بعد أن رحل ابني.

تسأله في غضب لم يمنع تلك الدموع في عينيها، ليجيب بكل جبروت:

- نعم، فاليوم فقط، بعد موته، سأسأل وأراعي، هذا شرفنا وعرضنا.

تخفض بصرها ولا تزال الدموع تنسابُ في صمت، بينما لا تزال جميلة لا تعي أي شيء مما تسمع أو ترى، وسعيد ينظر لأم كريم في ترقب واهتمام بالغين.

6

تقف جودي إلى جوار الباب الخارجي لوحدة الرعاية، تستجدي عطف رجل الأمن العجوز لتدخل وتراها، لكنه يرفض في حسم، بل وينهرها قائلًا:

«يا آنسة، أخبرتك أن الدخول ممنوع، هذه وحدة رعاية وليست دار سينما».

تدرك أنه لن يلين ويتراجع عن قراره، تستند إلى الحائط بجواره لتنهار باكية، تشعر بالأرض تدور حولها، لا تجد ما تستند إليه، لا توجد أي مقاعد بالقرب منها. تجلس إلى الأرض، تستند بظهرها إلى الحائط، وتضم ركبتيها إلى صدرها وهي تحاول مقاومة هذا الدوار، لا تزال تبكي وهي تتمتم باسمها وسط دموعها، تلعن كل ما حولها؛ هذا المشفى بتعليماته، وهذا الرجل بتعنته، وهؤلاء الأطباء الذين لا ينطقون سوى بكلمة واحدة «الحالة في مرحلة حرجة، فلتدعوا لها».

لا أحد يطمئنها، لا أحد يشرح لها، ولا أحد يسمح لها برؤيتها، ولا أحد بجوارها.

تشعر بيده تلمس كتفها وهو ينحني ليحدثها، محاولًا أن يخفي ألمه وقلقه قائلًا:

- جودي، وجودك هنا بهذه الطريقة لن يأتي بجديد، هيا معنا.

ترفع عينيها الباكيتين وهي تقول:

- هل سنتركها ونرحل؟! هل سأترك نادين التي كانت دومًا إلى

جواري!

يومئ يونس برأسه نافيًا:

- بالطبع لن نفعل، ولكننا سنعود في ميعاد الزيارة، بعد أن نطمئن على أمينة.

يمسك بيديها ليجذبها لتنهض، وتسير في صمت تام كما تسير غادة إلى جواره، ليجدوا نعمة تجلس منهارة على آخر درجات السلم، وهي تهمس باسم نادين وكريم، وتدعو لهما.

7

ترفع والدة كريم بصرها إلى سعيد، تنظر لابنتها الذاهلة، الواقفة كإنسان آلي، تشعر الأم بمصاب ابنتها، وبعدم استيعابها ما حدث، ما رأت بالداخل. تلتفت إلى أم جورج إلى جوارها، وتحدثها:

- اذهبى مع سعيد وجميلة إلى السيارة، وسألحق بكما.

تتردد أم جورج وسعيد في التحرك، لكن أمام هذا التوتر الواضح بين هذا الرجل وأم كريم يقرران الابتعاد في اتجاه السيارات التي حملتهم للمشفى، تحرك سعيد لكنه بقي متحفزًا لفعل أي شيء؛ فهو لم يرتح لهذا الرجل وعباراته غير المفهومة، وأسلوبه الجامد.

وصلا إلى السيارة، دفعت أم جورج جميلة التي تتحرك بآلية صامتة للداخل، وجلست بجوارها، بينما وقف سعيد يرقب ما يحدث، في حالة استعداد للتدخل متى رأى الأمر يستحق.

وعلى بعد أمتار حيث كانت تقف والدة كريم، تحاول أن تبدو متماسكة قوية، وهي تحدث هذا الرجل:

- لمَ جئت اليوم؟

ينظر لها في تحدٍّ:

- لأضم بنات أخي لبيتي، وبيت عائلتهن التي يحملن اسمها.

كانت على وشك النطق، ولكنه أسكتها بكلمة واحدة:

- سأترك لكِ يومين، ثم ستجدينني أمامك لأخذ البنات، أي محاولة

للهرب كما فعلت من قبل، سأصل إليك كما حدث من قبل، وستكون نتيجتها أن يعرف بناتك كل شيء عنك، كما حكيت لابنك الذي يبدو أنه لم يحتمل، واختار أن يفعل ما فعل.

ينطق كلمته الأخيرة، ثم يستدير ليغادر المكان في خطوات سريعة، بينما بقيت هي مكانها، يدور أمام عينيها كل شيء حولها، المبنى، وثلاجة الموتى، والسماء نفسها تقترب منها وتبتعد، والأرض ترتخي تحت قدميها وتتماسك ثم تعود لترتخي من جديد.

تحاول الاستناد إلى شيء، وهي تكتم أنين قلبها الذي ذبحته عبارة هذا الرجل للمرة الثانية اليوم، يثبت نظرها هناك، عند ثلاجة الموتى، حيث يرقد كريم، تتمنى لو تذهب لتحتضنه، لتبقى إلى جواره، لتضمه إلى قلبها وتشرح له، تقبل يده، وهي ترجوه أن يغفر لها ذنبها الوحيد وخطيئتها التي عاشت تكفر عنها سنوات عمره الذي كان قصيرًا خاطفًا.

تتمنى لو كان قد صارحها في تلك الأيام الماضية، كانت ستروي له، وتصارحه، تسأله الغفران، أو أن يفعل أي شيء إلا ما فعله.

ترفع بصرها للسماء، تنهمر دموعها التي كانت حبستها صبرًا واحتسابًا وتبتهل لله أن يغفر له ولها.

الفصل السادس

بعد 48 ساعة من الهاشتاج

#نادين_وكريم _قصة_حب_ ولا_قتل_وانتحار

1

تدخل الأم حجرة جودي، يرسم القلق شبه ابتسامة محاولة بث الطمأنينة في قلب ابنتها وهي تربت على كتفها، ترفع بصرها عن المصحف الذي كانت تقرأ فيه منذ قليل، قبل أن يذهب كيانها بعيدًا مع قلقها، وإحساسها بالذنب الذي لم تستطع أن تهرب منه، والذي يحاصرها.

تشعر والدتها بما تمر به ابنتها، تدعو الله أن يخفف عنها، ويشفي نادين، تحاول أن تبتسم وهي تحدثها:

- ستكون بخير بإذن الله، هيا، فلتغيرى ملابسك، غادة تنتظرك بالخارج.

نعم هي غادة ولكنها بلا روح، انطفأت زرقة عينيها، شاحبة الوجه، صارت أشبه بأختها الأكبر لولا عدم ارتدائها الحجاب كوالدة نادين، زادت سنوات عمرها سنوات وسنوات في يومين.

تجلس ممسكة بأجندة خضراء تناولها لها وتقول:

- فلتقرئي هذه يا جودي لتعرفي أكثر، لتستطيعي الرد على كل هذا العبث الذي يدور حولنا.

تتناول منها الأجندة ولكنها تندفع قائلة في حدة، والدموع تلتمع في عينيها:

- أنا لست في احتياج لأقرأ، جميعنا يعرف نادين؛ هي شخصية واضحة ونقية، ليس في حياتها ما تخفيه، وعلاقتها بكريم كانت على

مرأى ومسمع مني، لم يكن هناك ما يدينها.

تهز رأسها في إيجاب:

- بل كانت أكثر نقاءً مما نتصور، ولكننا لم نكن نعرفها حقًّا، اقرئي هذه الأجندة، وسأمر عليكِ في ميعاد الزيارة لنحدد خطواتنا القادمة.

2

ترجوها رضوى وهي تجلس جوارها أن تتناول أي ملعقة من الطعام الذي أرسلته لهم أم شهد جارتهم فترفض، تهز رأسها والدموع تحتبس في عينيها، وهي ما زالت تنطق بنفس العبارة التي لا تنطق بسواها من حين لآخر:

«أنا السبب يا حبايبي، يا ليتني لم أعرفك به، يا ليتني لم أتدخل، ليحدث ما حدث لكما».

تعيد رضوى الطعام إلى المطبخ، ثم تعود لتجلس أمامها وهي تثني ركبتها على الأرض، لتنظر إلى وجهها قائلة وهي تغالب دموعها:

- صدقيني يا أمي، هو قدرهما، هل منا من يستطيع تغيير قدره! أنت مجرد سبب.

تهز رأسها في ندم:

- لا يا رضوى، لقد نادتني صباحًا وسألتني عنه، لم أحدثها كثيرًا، لم أتحدث إلا عن المحل الجديد، لم أذكر لها أنه تغير كثيرًا، رحمه الله، كان كأنه شخصٌ آخر منذ أن تركته، حتى الشيخ عبادة إمام المسجد حدثني بأنه لم يعد يصلي المغرب والعشاء في المسجد كعادته منذ عرفه، لقد قالتها لي «سأعرف أنا بنفسي» وأنا خفت، لم أتحدث، فهكذا نحن الخادمات، ليس لنا أن نتدخل.

- أنت لست خادمة يا أمي، أنت مساعدة لهم في أعمال المنزل، ولم تكن آنسة نادين تعاملك على أنك خادمة، لقد كانت تحبك وتحبني.

تتنهد في حسرة:

- وماذا قدمتْ أنا لها مقابل هذا الحب؟

تمسك رضوى بيديها وتقبلهما، ثم ترجوها أن تكف عن لوم نفسها.

يرن جرس الباب فتنهض لتفتحه، لترى والدها ومعه شاب في الثلاثين من عمره، يقف إلى جواره، يأمرها أن تعود إلى حجرتها فتتجه إليها، وهي تحاول أن تتذكر متى رأت هذا الشاب الذي جاء مع والدها، داخلها إحساس أن وجهه عبر أمام عينيها من قبل!

يدخل والدها وهو يقول:

- تفضل يا باشا، أنت شرفتنا.

يوجه حديثه لزوجته التي كانت تتحرك تجاه المطبخ، لتعد مشروبًا للضيف، قائلًا:

- تعالي يا أم رضوى، الباشا يريد أن يتحدث إليك قليلًا.

3

يجلس منير في حجرته في هذه الشقة الصغيرة جدًّا، التي يشاركه فيها زميلان إحداهما مصري، والآخر سوري.

يرفض مغادرتها، يرفض الذهاب إلى الكلية أو المشفى.

يسأل نفسه وهو منزوٍ في فراشه:

ما معنى حياته؟ ما جدوى اختياره للطب النفسي ليتخصص به وها هو قد فشل في محاولة إنقاذ صديقه؟ ما الذي فعله من أجله؟ حتى حين عرف أنه على وشك الانزلاق في طريق الإدمان، وربما أنه قطع خطوات فيه، يصعب الرجوع منها، ماذا فعل له؟ سأل سعيد أن يصارح والدته!

سعيد، الذي يراه الآن أكثر وفاءً منه، وأكثر إخلاصًا لعهد قطعوه على أنفسهم وهم بعد في الحادية عشرة من أعمارهم؛ بألا يخذل أحدهم الآخر، وأن يكون كل منهم سندًا للآخرين، وسندًا لأسرته حال حدوث مكروه له.

سعيد، الذي رفضه كريم بأسلوب مهين، لكنه لم يبتعد كثيرًا وظل قربه، يتابعه، يرقب ما يحدث له من تغييرات، كان على استعداد لتحمل رفضه، وأسلوبه الذي صار فظًّا على غير ما اعتاد، فقط لينقذه.

وها هو لا يزال واقفًا إلى جوار إخوته وأمه؟

يروي له عن هذا الرجل الذي ظهر في المشفى، بعد سنوات من

الاختفاء، هذا الرجل الذي ترك ندبة داخل كريم لم تختفِ، ما الذي يجعله يظهر في وقت كهذا؟ وبنفس أسلوبه الغليظ الفج، يحاول سعيد أن يعرف أي شيء فلا يستطيع.

سعيد المشتت ما بين يسر ويمنى وانهياراتهما، وحالة الإنكار التي تعيشها جميلة، وحزن وحسرة غرقت فيهما والدتهن، ووحده هو وسط هذا كله.

يفكر في ترك كل شيء والعودة إلى مصر، لكن أستاذه هنا يثنيه عن الفكرة؛ فهو على وشك بدء امتحانات الماجستير، يزيد إحساسه بالعجز والعزلة، وبأنه ربما لم يخذل صديقه حين كان حيًّا، لكنه خذله حين صار ميتًا.

4

تضع جودي هاتفها -الذي لم تغير شاشته المشروخة- جانبًا، لا تريد أن تفعّل الاتصال بشبكة الإنترنت، تعرف ما ستجده من قصص وحكايات عن نادين وكريم.

آلاف القنوات والمواقع تتحدث، تمامًا كما حدث منذ عدة أشهر، في قضية الطالبة التي قتلها زميلها أمام سور الجامعة بإحدى المحافظات، وبعدها بخمسين يومًا، تلك التي نالت نفس المصير في محافظة أخرى، في مدخل عمارة سكنية، وللمرة الثالثة هذه الفتاة التي تسلل إلى منزلها خطيبها السابق ليقتلها عقابًا لها لرغبتها في إنهاء الخطبة، وقضايا مماثلة، وإن اختلفت صلة الضحية بالقاتل، تحدثت عنها في قناتها، أدانت ما يحدث، لم تدِن القاتل فقط، كانت تدين الضحية أحيانًا، تلومها برفق مرة، وبتعصب مرات.

أولى متابعتها لتلك القضايا، كانت في نفس فترة بداية تعاقدها مع مروان، كان هو من يأتيها بالأخبار والمعلومات الحصرية، ويسجل لقاءات مع ذوي الضحية أو القاتل.

يعرض على القناة مستندات وتقارير تخص سير التحقيقات، لم تكن تعرف كيف يحصل على نسخ مصورة منها، يكتب لها اسكريبتات لحلقات تُشعِل السوشيال ميديا، لتكون من أهم نجومها خلال عدة شهور، فترة شهدت قضايا وظواهر اجتماعية قاسية وغريبة، قضايا صنعت شهرتها، وجعلت من المحتوى الذي تقدمه هو الأشهر، والأكثر إثارة للجدل، وأحيانًا الأكثر حرفية؛ بما يقدمه من

معلومات وأخبار حقيقية وحوارت حصرية لقناتها، لهذا هي تعرف ما الذي ستقرأه، تتوقعه دون أن تقرأ.

ستجد من يتحدث عن العنف ضد النساء، والذي أصبح ظاهرة، ومن يروي قصة حب أسطورية قتلتها الظروف، فقرر بطلَاها الانتحار، ستجد من يُدافع عن كريم ويُدين نادين؛ لأنها رفضت الارتباط به بعد أن تركته يتعلق بها، وستجد العديد من الأسباب الملفقة لهذا الرفض، وبالطبع ستدين كلها نادين هذه المرة، لقد انتحر الشاب أو انتوى، اختار أن يوثق قصة حبه بنهاية درامية ليظل هو الضحية، وهو ما لم تتخيل أن يفعله، أو حتى يفكر فيه كريم.

لا تنكر أنها تدرك أن مشاعر حبه لنادين تملكته، رأت هذا بنفسها، عاشته، وتأثرت به لأيام بعد لقائها به، كانت تشفق عليه فهي تقدر معاناته، فمشاعره تجاه نادين كانت أقوى منه، غرق فيها دون أن يتأكد من مشاعرها، كانت تحسبه سيحاول، وسيستطيع أن يتخطى تلك القصة، ثم سرعان ما انشغلت بقناتها وتطويرها، وحسبت أنه استطاع أن يفعل.

حسبت أن هذا اللهيب الذي كاد يحرق قلب كريم قد خفت، ثم انطفأ مع مرور الأيام، وانقطاع كل اتصال بينه وبين نادين، حتى نادين لم تحدثها عنه لشهور، إلا عندما فوجئت به يتقدم لطلب يدها، كان هذا في بداية العام تقريبًا.

فوجئت نادين بيونس يحدثها بأن كريم قد أتى ليقابله في شركته، ليستأذنه في تحديد موعد ليتقدم لخطبة نادين، راح حينها يتبادل

حديثًا مع يونس عن توسع نشاطه التجاري، وأنه اشترى محلًّا أكبر في شارع رئيس، وأنه اشترى سيارة، لم يكن يونس يعرف الكثير عنه من قبل، فلم يسأله كيف حقق هذا كله خلال شهور قليلة، بينما لم يحقق هذه الإنجازات خلال ثلاث سنوات من نفس العمل ونفس التجارة!

من تساءلت هي نادين حين حدثها يونس، وسألها عن رأيها؛ فقد وعدها بالرد عليه خلال أيام، لم تختلف إجابة نادين عما نطقت به جودي: «كنا أصدقاء لا أكثر».

أخبره يونس برد نادين بأسلوب دبلوماسي، وأكد له أنه مرحب به في أي وقت، سواء في الشركة أو المنزل، كصديق للأسرة، وتمنى له التوفيق.

شعرت نادين بالارتياح ويونس يحدثها بمحتوى مكالمته معه، توقعت أنه سيطوي تلك الصفحة من حياته، ويستكمل مشوار نجاحه الذي بدأ يسير فيه بخطىً واسعة وثابتة وإن اندهشت لها ولكنها تمنت له الخير دومًا، ثم فوجئت بعد عشرة أيام بوالدتها تتصل بها لتسألها أن تزورها في أقرب وقت، لتذهب إليها في اليوم التالي، وتعرف أن كريم قد أتى إلى حيث تسكن والدتها، وسأل صاحب محل المخبوزات عن اسم المدرسة التي تعمل بها، محدثًا إياه أنه يود أن يتقدم لخطبة نادين حتى يطمئن له، وعرفه بنفسه، رحب الرجل به، وأخبره باسم المدرسة، وراح يثني على أخلاق نادين وسمعة والدتها.

تحدثها أمها عن زيارة كريم لها في المدرسة، وأنها شعرت بارتياح له، لا تعرف سره بينما هو راح يحدثها عن عمله، وأسرته، وتمسكه بنادين وأنه دفع مقدم شقة في نفس المجمع السكني الذي تسكن به غادة، وسيكتبها باسم نادين عندما يتسلمها.

لم يذكر لوالدتها أنه قابل يونس، وأن يونس بلغه رفض نادين، لم يحدثها سوى عن حبه لنادين، وما يعدها به من حياة مريحة لها، لم يعرفها أنها رفضته من قبل.

استمعت نادين لها، ثم شعرت بالكثير من الحيرة، وبعض الدهشة، حاولت أن تكبح جماح غضبها، لتمر لحظات صمت احترمتها والدتها، حتى سألتها نادين بلهجة هادئة:

- هل ترك لك رقمه؟

- نعم، ها هو.

قالتها وهي تخرج «كارت» يحمل اسمه، مع لوجو صممه للمحل الذي اشتراه، طلبت من أمها أن تتصل به ففعلت، وفور أن سمِعت صوته على الناحية الأخرى قالت:

- كيف حالك يا بني؟ لقد حادثت نادين.

فيسألها بلهفة:

- وهل وافقت؟

قبل أن تجيب والدتها سألتها أن تعطيها الهاتف لتحدثه:

- كريم، مساء الخير، أنا نادين، أرجوك حاول أن تقتنع أن طريقنا ليس واحدًا.

- لماذا؟

نطقها في رجاء وحيرة، فأجابته في حسم:

- هي حياتي، وأنا أكثر درايةً بها، أستأذنك، وفقك الله.

تنهي المكالمة لترى دهشة وذهول والدتها التي نطقت عيناها بهما، ولكنها لم تسأل.

منذ أن نطقت باسم كريم، لاحظت طيفًا حزينًا في عينيها، ولكن حيرتها وغضبها غلبا هذا الطيف، لم تشأ أن تفتح نقاشًا في أمر قد حسمته نادين، وهو في النهاية أمر يخصها، ابتسمت لها ابتسامة رضا ودعت لها وله قائلة:

«فليعوضه الله خيرًا عنك، ويعوضك خيرًا منه».

حين روت لها نادين ما يفعله كريم أدركت أن القصة لم تنته، أدركت أن ردة فعله حين أخبرته بأسلوب راق رفض نادين كانت أقل بكثير مما يعتمل داخله، وأنه من الصعب، وربما من المستحيل أن ينساها.

وها هو -رحمه الله- لم يكتف بهذا كله، لم يستطع السيطرة على مشاعره.. تملكه حبه لنادين، غلب تلك الطبيعة الهادئة، والعقلية العملية، والتفكير المنفتح على العالم، وهو كل ما أعجبت به حين التقته، لتمر الأيام وتتابع المواقف بينهما لتعرف بل وتتأكد كم هو

شخص نبيل، وشهم، وهو ما لم تعد تراه كثيرًا بين من تعرفتهم من قبل كزملاء دراسة أو أصدقاء بالنادي، كان دومًا متواجدًا، داعمًا وناصحًا لها، وهو ما جعل له مكانة خاصة لديها، ولكن هوسه بنادين غلب كثيرًا من طباعه، أصابه بالتخبط، ففقد كثيرًا من عقلانيته، وربما ثقته بنفسه.

تتنهد في أسى، وتتألق الدموع من جديد في عينيها بعد يومين من البكاء، والدعاء له..

ومن بين دموعها تهمس له وكأنه أمامها..

ترى لمَ فعلت هذا يا كريم؟ لمَ قررت أن تنهي حياتك؟

وهل حقًّا فعلت؟

أم كانت كلماتك على صفحتك رغبة في البوح بالفكرة لا أكثر وليس إعلانًا لعزمك على التنفيذ الفعلي لها؟ كيف هانت عليك روحك وحياتك وإخوتك ووالدتك؟

حتى لو قررت التنفيذ، ما ذنب نادين؟ هل هانت عليك هي أيضًا؟

هل حقًّا كنت تحبها؟ أم فقط أردت امتلاكها؟

ترهقها تساؤلاتها، وتشعر بدموعها وقد صارت كقطرات من نار تلهب عينيها، فتحاول أن تهدئ من انفعالاتها، وتقرر أن تجلس لتقرأ جزءًا من المصحف الشريف على روح كريم، قبل أن تبدأ رحلتها مع هذه الأجندة الخضراء.

ربما تجيب كلمات نادين بعض تلك التساؤلات المؤلمة.

5

مع كل صفحة تقلبها جودي، كانت ترى وجهًا آخر لصديقتها، وجهًا ربما هو أقوى مما تظهر به، وربما أضعف!

لا تدرك، أيهما هي؛ تلك الضعيفة التي ما زالت ترى في انتقالها لبيت خالتها تخليًا عن والدتها وإخوتها فيما بعد وتقصيرًا في حقهم؟ أم تلك القوية التي خططت منذ ثلاث سنوات وحدها للسفر؟ وكانت تجتاز اختبارًا تلو الآخر، وتقدم استمارات وشهادات من الشركات التي تدربت بها، والدورات التي حصلت عليها.. كانت تفعل الكثير وحدها من أجل توفير حياة أفضل، حياة آمنة في بلد أوروبي، ليس من أجلها، بل من أجل مصطفى وهشام!

أهي تلك الرقيقة التي أسعدتها كلمات كريم ومشاعره الصادقة كما قرأت وجعلتها تطير كفراشة طوال ليلتها؟!

أم تلك القوية التي اتخذت قرارًا حاسمًا بالرد الواضح القاطع في اليوم التالي مباشرة؟

من كنتِ يا نادين؟!

تلك التي كانت أحسب حياتها هي البساطة، الهدوء، وجلسات التأمل واليوجا، وعدم الانخراط في عوالم السوشيال ميديا الزائفة، والتركيز على دعم ومساندة من حولها بكل صدق وحب؟

أم تلك التي تدور داخلها صراعات شتى تحسمها كلها لحساب قرار واحد؟ قرار اتخذته وحدها دون استشارة أحد، أو البوح لأحد بما

تنتويه، حتى لأقرب صديقة لها، قرار اتخذته لتعوض أمها وترعى أخويها؟

يملأها إحساس بالألم، تلوم نفسها، وتؤنبها؛ كم كانت بعيدة عن نادين، كانت إلى جوارها لكنها لم تكن معها، كانت تراها، تتحدث معها، وتستمع إليها، ولكنها لم ترَ يومًا ما يدور داخلها.

لم تحاول يومًا أن تسألها عن علاقتها بوالدتها؟ وكيف استطاعت أن تتركها لتعيش مع خالتها؟ هل تأثرت بإقامتها مع خالتها؟

هل حدث شيء ما من زوج والدتها جعلها تخشى الإقامة معه؟

كانت دومًا تكتفي بما ترى، وبما تعرف أو تحسب أنه كافيًا، كانت تكتفي بالصورة ولا تبحث عما وراءها، تمامًا كما كانت تتعامل مع السوشيال ميديا، وتصدق كل ما تراه عليها، وتنساق وراءه، تمامًا كما اكتفت بتلك الصورة التي عرفت نادين عليها أثناءها في المرحلة الثانوية، اكتفت بما عرفت، لم تسأل لم؟ أو كيف؟ ولماذا؟

حتى موقفها الرافض للارتباط بكريم، لم تسألها عن مبرراته؟!

تعود لتستكمل قراءة باقي الصفحات؛ لتحمل لها حقائق أخرى عن كريم لتتوارى دهشتها مما عرفت عن نادين إثر ما ستعرفه عن كريم.

6

من صفحات الأجندة الخضراء

الأربعاء 18 يناير

نهاية اليوم، الساعة تقترب من الثانية عشرة،

وبداية يوم جديد.

اليوم قررت أن أنهي هذا الذي يفعله كريم مع كل من حولي، أن أضع نهاية لكل هذا التشوش الذي يعيش هو فيه، والضغط والملاحقة التي يوترني بهما حتى أعلن استسلامي، وأقبل أن أفسح له مساحة في حياتي من جديد، لأمنحه بعدها فرصة ثانية، ولكنني سأنهي كل هذا.

نعم، يجب أن أكون أكثر حسمًا؛ من أجله هو، صفحة نادين يجب أن تقطع من حياته والتزاماته، ومسؤولياته.

ومن أجلي، من أجل وعد قطعته على نفسي، وقطعت خطوات في طريقي للوفاء به.

لماذا لا يشاء أن تنتهي قصتنا بصورة لائقة بما كان بيننا من ود ومحبة صافية؟

صورة حلوة، وذكرى جميلة؟!

هذه المرة، أنا من سأحدثه،سألغي هذا الحظر لرقمه، وأرسل له عبر الواتس آب.

«لنلتقي غدًا في النادى».

لأطوي تلك الصفحة من حياتي، ومن حياته التي بها ما يستحق الالتفات إليه أكثر من قصة انتهت قبل أن تبدأ؛ لديه حياته المليئة بالالتزامات، والمسؤوليات تجاه أخواته ووالدته، تلك السيدة التي ضحت من أجله ومن أجل أخواته، لم تفكر سوى فيهم،كما تفكر هي أيضًا في هشام ومصطفى.

***

الخميس 19 يناير

الثامنة والنصف مساءً

أكتب فور عودتي من لقائي بكريم، ولكن هل هذا هو كريم الذي عرفته منذ عدة شهور؟

ليس هذا كريم الذي التقت به جودي وعرفته، وليس من حدثني من شهور عن مشاعره نحوي.

شيء ما تغير به، وليس مظهره فقط، شيء بداخله تغير، صار بعينيه غموض وريبة، وصار حديثه أقصر، لكن لهجته أكثر إصرارًا وربما تحديًا، وهذا ما أخافني.

لأول مرة لا أشعر بالارتياح معه، حتى حين تحدث عن مشاعره، ورغم تمسكه الواضح بي في عباراته، وفي عينيه، وكل ما ذكر من ظروف عمل على تغييرها، لكنه لم يكن كريم لأستمع إليه، أو لأتفهم ما يقول.

«صدقيني يا نادين،سأحقق لكِ كل ما تتمنين، لقد حجزت شقة في نفس الكومباوند الذي تسكن فيه غادة، وسأوفر لكِ حياة هادئة مريحة تليق بك».

نظرت إليه في تساؤل ودهشة:

«وكيف عرفت ما أتمنى يا كريم؟ هو أمر يخصني وحدي».

ليسألني في اهتمام:

«وما الذي تتمنينه لأحققه لك؟».

«أتمنى أن تكون بخير، أشعر أن هناك شيئًا يتغير بك، أرجوك كن بخير، وكن كريم الذي عرفته».

هل أزعجته كلماتي أم لمست وترًا حساسًا داخله؟!

رأيت نظرةً غامضة في عينيه، لم أفهمها.

«سأكون بخير، فقط حين أكون معكِ، وسأكون بخير من أجلك».

فأعلق وأنا أستعد للمغادرة:

«كن بخير من أجل والدتك وإخوتك، أما أنا وأنت فطريقنا ليس واحدًا».

وأنا أغادره، دعوت الله ألا نلتقي ثانيةً ولو مصادفة، حتى أسافر، كي لا أعيش نفس هذا الشعور وأنا معه، شعور أنني مع شخص غير كريم. أحاول تناسي هذا اللقاء، وهذا الشعور، لأحتفظ بصورة كريم الذي التقيته في محله الصغير، بالحي الشعبي مع نعمة.

أتمنى أن أسافر قريبًا، أن أبدأ رحلتي إلى حياة أصنعها أنا، لا أعتمد فيها على آخرين يمدون يد العون لي أو لإخوتي، حتى لو أنهم يمدونها لي بكل حب وود.

أريد أن أمد أنا يد العون لنفسي ولهم، حتى لو لم يطلبوه، هو دوري وقدري الذي ارتضيته، وحلمي الذي اخترته، وسأسعد حين أحققه وحدى، كما علمني أبي «ما حكَّ ظفرك مثل جلدك، فتول أنت جميع أمرك».

رحمة الله عليك يا أبي!

أسمع صوتك حولي وأنت توصيني بأمى وإخوتي.

لا تخف يا أبي هي أمي التي كنت تحبها، وتكرمها، وتدللها. وهي أمي التي ربتني، وهما أخواي حتى لو لم يحملا اسمك، هما جزء من أمي، عليَّ أن أرعاه، و أحافظ عليه، لا تخف يا أبي، سأظل نادين التي تفخر بها، والتي تفخر لأنها تحمل اسمك.

7

من صفحات الأجندة الخضراء

الأحد 22 يناير

العاشرة والنصف مساءً

لماذا أكتب اليوم؟

هل أكتب لأتحدث لنفسي وأواسيها وأبكي معها؟

أم أكتب لألومها وأعنفها؟

أم أكتب من فرط صدمتي من هذه الحقيقة المفزعة؟

تلك الحقيقة التي كان من البديهي أن أستنتجها بعد كل هذه التطورات في حياة كريم خلال عدة شهور.

هذه الأموال التي اشترى بها محلًّا في شارع رئيس، وسيارة رياضية صغيرة،ودفع مقدمًا لشقة هنا بجوار فيلا غادة، كل هذا في عدة شهور!

نجاح لم يحققه في ثلاثة أعوام من العمل باجتهاد!

ترى، لم فعلت هذا يا كريم؟

هل كنت تظن أن ممتلكاتك هذه هي ما كنت أنتظره منك؟

هل كنت ترى أنك لست جديرًا بي لأنك لا تملك سيارة أو شقة أو مشروعًا تجاريًّا يدرُّ دخلًا كبيرًا؟

لمَ تدخل عالمًا كهذا؟!

عالم أنت حدثتني عن خطورته، وغموضه، وظلمته!

عالم يمنحك الكثير والكثير من الأموال لكن مقابل تلصصك، وتجسسك على ما لا يخصك من حياة الآخرين، وأسرارهم الخاصة ربما، أو أسرار أعمالهم!

لمَ فعلت ما تخجل أن تصارحني أو تصارح أي شخص به؟!

ماذا لو كنت سألتك عن مصدر مقدم ثمن هذه الشقة؟ أو هذا المحل الجديد؟ هل كنت ستمنحني إجابة صادقة؟

ترى، هل تراني كنت سأقبل لو صارحتني؟

هل سأقبل أن تكون كهذا المبتز الحقير الذي اخترق هاتفي ليهددني أنا وجودي؟

أو أن تخترق أنظمة شركات لحساب شركات منافسة لها؟

أو تخترق حاسوب محام لحساب محام آخر خِصم له لتعرف ما الذي لديه من أدلة سيقدمها في مرافعته ليفسدها عليه؟

أنت يا كريم، بعد أن خلصتني من هذا المتلصص تصبح مثله!

ترى، هل إلى جانب عملك لحساب الآخرين من شركات أو أفراد، هل تقوم بأعمال لحسابك لتزيد مكاسبك أكثر وأكثر؟!

هل هذا ما شجعك عليه يونس لتبني مستقبلك بنفسك كما فعل هو؟

ترى، هل كنت تتلصص علي منذ أعدت لي هاتفي؟ أم منذ ألغيت هذا الحظر لرقمك فقط؟

تراك عرفت الآن أنني سأسافر؟ ألم تتوصل لرسائل الـ G-mail واطلعت عليها؟

تراك عرفت الآن لمَ قلتها لك «طريقنا ليس واحدًا»؟

بالطبع عرفت.

عرفت أنني أسعى وسأظل أسعى، لأعيش مع أمى، وأن أمنح أخويَّ حياة أفضل، ولكن بطرق شرعية، بعمل حقيقي لا أخجل منه، وسأصل لمَا سعيت له، أدعو الله لكَ بالهداية والتوبة.

أدركُ أن كريم هذا الذي قابلته منذ ثلاثة أيام لم يكن هو كريم عاشق التاريخ، الطموح، المجتهد، الذي عرفتني به نعمة؛ ليخلصني من كارثة صنعها مخترقٌ حقير، حين عرفت كان إحساسًا صادمًا.

كان يومًا قاسيًا ومجهِدًا في فترة التدريب بالشركة، حين توقف هاتفي عن العمل فجأة ثم عاد وحده دون تدخل مني، لم أعرف ما حل به، نصحتني بيريهان بالذهاب إلى باسل في قسم البرمجيات بالشركة، ليفاجئنى بأن هناك من يحاول اختراقه، وبالفعل نجح.

عبارته أعادت لي نفس الإحساس، ربما الآن أنا أكثر اطمئنانًا، فأنا لا أترك على الهاتف أي صور خاصة لي أومحادثات خاصة بيني وبين جودي، لقد وعيت الدرس «ولكن ترى من هو هذه المرة؟!».

همست بها لنفسي لكن باسل سمعها، فأجاب في سرعة:

«يمكنني تحديد موقعه فقط أما بياناته فهي أمر يحتاج لوقت، ابقي فقط لدقائق وسأخبركِ بعنوانه».

غادرته بعد تلك الدقائق، أحمل هاتفي، بعد أن خلصني من هذا الاختراق، وأحمل صدمتي الكبرى!

فمن اخترق هاتفي هو محترف عمليات اختراق، يتحدث عنه البعض لكن بالطبع لا أحد يعرف شخصه، فهو عالم سري غامض، ولكنني أعرفه يا باسل!

فور أن نطقت باسم الحي الذي يسكن فيه كريم عرفت من هو!

هكذا حدثت نفسي في صدمة، وانكسار.

8

تضع جودي الأجندة إلى جوارها وهي مصدومة، فيما عرفت عن كريم، كان آخر ما تتوقعه، راحت أسئلة كثيرة تدور في رأسها.

هل تملَّكه حب نادين لهذه الدرجة؟

هل كان على استعداد لتحمل مخاطر مهنة أو مسمى كهذا من أجل الوصول لمستوى مادي أعلى بسرعة أكبر؟

لم ظنَّ أن رفضها لمشاعره هو رفضٌ لوضعه المادي؟!

هل كان حبًّا ما جمعه بنادين أم مرضًا؟ مشاعر طبيعية أم هوسًا قاتلًا؟

ألهذا الحد أخذتني الشهرة والمكاسب من حياة صديقتي!

لقد قابلته دون أن تحكى لي منذ شهر تقريبًا! وعرفت بعدها بتلك الحقيقة ولم تروِ لي!

من المؤكد أن هذا ما كان يقلقها مِن مقابلته؟

ولذا كانت تريد أن أكون معها؟

تُرى، هل صارحته بمعرفتها بما يفعل؟

أعرف نادين، أو ربما كنت أحسب أنني أعرفها.

لقد ذهبت لتقنعه أن يبتعد عن هذا الطريق الشائك بينما كان هو ينتوي...

وتشعر بأفكارها تتخبط داخلها، لقد زادتها تلك الأجندة حيرةً، ووجعًا.

9

«ماما، انظري، ماذا فعل بابا!».

تجري رضوى إلى حجرة والدتها، التي كانت تستعد لموعد زيارة نادين، كانت تدعو الله أن تفيق، أن تفتح عينيها الجميلتين لتضيء حياتها من جديد، هي لا تتخيل بيت غادة دونها، ولا تتخيل ألا تُفيق لتسامحها؛ إحساسها بالذنب يقتلها، وقلقها على نادين يدمي قلبها.

تلتفت لابنتها بعد أن أحكمت ربط حجابها الأسود، فتجدها تضع أمام نظرها هاتفها الحديث، الذي يعرض مشهد صورة مهتزة لها وهي تتحدث عن نادين وكريم، هذا الحديث الذي تحدثت به لهذا الضابط الذي أتى مع زوجها، ليأخذ أقوالها في تحقيق عن الحادثة.

تسأل ابنتها في دهشة:

- ولِمَ تذيع الحكومة هذا التحقيق؟

تتنهد رضوى في غضب وتقول:

- هو ليس تحقيقًا يا أمي، إن هذا الشاب الذي جاء مع أبي هو صاحب قناة معروفة، وكان يسجل معكِ ليذيع هذا الحديث فيها.

تشهق نعمة، ثم تقول:

- لقد خدعنا إذًا، هذا الكلب الحقير!

- لا يا أمي لم يخدعنا، لقد صور مع أبي في الورشة أيضًا، وراح يتحدث عن نادين وكريم، وأنها رفضته لأنها كانت تريد شابًّا غنيًّا،

وأن صدمته برفضها جعلته يدمن المخدرات لينساها.

- مخدرات! هل كان كريم يتعاطى المخدرات؟!

تنهدت في يأس:

- لا أعرف يا أمي، هذا ما قاله أبي وكثيرون غيره، والكل الآن يرى أن نادين هي السبب، وشهادتك لهذا الرجل أكدت هذا، لقد قلتِ إنها كانت قد عرفته بمدام غادة وزوجها، وكان يلتقيان في النادي، أي إنها كانت تتعمد أن تجعله يتعلق بها، وتريه مدى الفارق بينهما، ثم رفضته.

تنهار على طرف فراشها باكية، لاطمةً خديها وهي تقول:

- لن يسامحك الله يا سيد، ولن أسامحك أبدًا أبدًا.

تقترب منها رضوى، وتحتضنها، وتربت على ظهرها في حنان ودفء، وهي تقول بصوت مختنق:

- لا يا أمي، لا تكذبي على نفسك، كما كنت تكذبين علينا وتحاولين إقناعنا بأنه هو من يدفع لنا مصاريف المدرسة، وثمن الكتب الخارجية، وملابس العيد، لتحافظي على تقديرنا له، لم نعد صغارًا يا أمي. لا تكذبي على نفسك، ستسامحينه كما تفعلين كل مرة.

تفاجئها كلمات ابنتها، ولهجتها، تنسال الدموع من عينيها، وهي تشعر بهذا الأنين في نبرة صوتها المختنق، تفلت نفسها من بين ذراعيها، لتتأملها طويلًا؛ هذه الفتاة التي كانت أول أمس تتعلم الاستناد لحافة الكنبة لتقف، وأمس كان أول يوم لها بالمدرسة

الابتدائية، لتدرك أن طفلتها لم تعد صغيرة، لقد صارت فتاة جميلة، ناضجة، تجاوزت مراحل الطفولة، وها هي تنطق بكلمات وعبارات الكبار، وأفكارهم، فاجأتها تلك الحقيقة، وأربكتها، فجزء من قلبها فرح وهي تراها قد صارت أكثر عقلانية، ونضجًا، وجزء آخر راح يشعر بالقلق، ها هي تفتح عينيها ومداركها على حقائق، لم تتمنَّ أن تراها، أو تفهمها، حقائق ضحت كثيرًا كي تخفيها عن عينيها.

فتلتفت عنها، تهرب من عينيها الدامعتتين، وتحدثها بلهجة لم تعتَدها معها، ربما هي نفس لهجتها حين تتحدث لأختها، وتفسر لها لما ما زالت باقية على زواجها من سيد، تحدثها بنفس العبارة:

- كنت أفعل هذا من أجلكما.

تهز رضوى رأسها في بطء وتقول محاولة حبس دموعها:

- ولكنه لم يفعل شيئًا من أجلنا، لمَ نعيش معه، ولِم تتحملين أن يؤذيك بكل الطرق، كما فعل اليوم، وكما يفعل دومًا؟ وإلى متى يا أمي ستكذبين على نفسك؟ هو لن يتغير، ولن يصبح أبًا حنونًا، أو زوجًا كريمًا معك، ولن يقدر كل ما تفعلينه.

10

تقع عينا جودي على تاريخ اليوم، إنه التاسع من مارس، وقد وافق يوم الحادثة السادس من مارس، هو نفس ميعاد لقائهما الأول؛ من المؤكد أنه قصد هذا. إنه الهوس، هوس الحب أو الامتلاك.

يرن هاتفها فترى اسم نعمة، تجيب مكالمتها في سرعة، تعرف أنها في شبه انهيار منذ الحادثة، شعورها بالذنب يقتلها، وحزنها على ما حدث طبيعي صادق، تسمع صوتها باكية وهي تسألها:

- آنسة جودي، لا بد أن أتحدث معكِ حالًا، هل من الممكن أن آتي الآن؟!

- تفضلي يا نعمة، وسنذهب معًا لزيارة نادين وطنط أمينة بعد أن نتحدث.

***

«أقسم بالله لم أكن أعرف، لقد كنت أظنه ضابط شرطة».

تنطق بها نعمة وهي تخفض رأسها أرضًا، بعد أن شاهدت جودي هذا الفيديو، الذي تحدث فيه زوجها وهي، والكثيرون من أبناء المنطقة، بجوار المحل الصغير، والمحل الجديد، ممَّن يعرفون كريم.

الكل يتحدث، الكل يشكر في أخلاق كريم، على مدار سنوات ثلاث، فيما عدا تلك الفترة الأخيرة، وبعضهم قال إنه كان مؤخرًا يسهر مع بعض ممن عُرِف عنهم أنهم يتعاطون المخدرات.

تعرف جودي تلك القناة، وصاحبها، هذا الذي يدعي أنه صوت الرأي العام، وأنه من حق الجميع مناقشة القضايا العامة في المجتمع؛ مناقشتها بطريقتها المليئة بالمبالغات، التشويه، والكذب، والميل دومًا للناحية الأكثر إثارة للجدل.

كانت قد قررت ألا تتابع أيًّا مما يشاع، ولكنها اليوم اكتشفت كم كانت مخطئة حين صمتت.

هذا الهشتاج الذي لا يزال الأكثر رواجًا، وصفحات الفيس بوك التي تطالب بالدعاء لكريم والترحم عليه، وصفحات أخرى بعناوين مستفزة تخص نادين.

امتلأت صفحات الفيس بوك باسمها، وصورهما معًا، ومنشورات تُحلل تلك القصص الزائفة، والأحداث الملفقة، وهاشتاجات أخرى.

#من_الحب_ماقتل

#محاكمة_القاتلة_نادين

#كريم_ضحية_الفروق_الطبقية

#جودي_الجمال_تخاف_المواجهة

#جودي_الجمال_صديقة_القاتلة

تفتح حساب قناتها، لتجد مئات الآلاف من التعليقات والأسئلة، منها الجارح القاسي، ومنها ما يحثها على الظهور، وينتظرها لتكشف الحقائق.

كرهت هذا العالم الزائف المخادع، الذي يقلب الأوضاع، يجعل من الجاني ضحية، والضحية البريئة قاتلة في عدة دقائق. تُرى، هل كانت يومًا تساهم في هذا العبث وهي تحسب أنها على صواب؟ أم كانت تطرح القضايا بحيادية كما كان مروان يحاول إقناعها؟

هل كان مروان يستغل ثقتها به، ومسؤوليتها عن جزء آخر من محتوى القناة؟ وهو ما يخص الموضة وأدوات التجميل، والترويج لبعض الماركات، والمطاعم، ومحلات الملابس والعطور، وجعلها تميل عن الحق والحيادية لتشعل قضايا مماثلة، ليزيد مكاسب القناة!

هل كان يمنحها حوارات كلا الطرفين دومًا؟ أم اكتفى بما يجعل القضايا دومًا أكثر سخونة لتبقى لفترة هي الأكثر رواجًا؟ هل كان يستعين بمن هُم مثل كريم للحصول على مستندات وأوراق تعرضها هي حصريًّا على القناة؟ أم يقدم رشاوى ليحصل على صور للمستندات التي كانت تعرضها؟

هل كانت جزءًا من عبث كالذي تراه اليوم وتعيشه؟ هل شاركت يومًا في تشويه صورة شخص بريء ثقةً منها في مروان وما يكتبه لها في اسكريبت الحلقة؟ هل قلبَت يومًا الحقائق مثلما يحدث الآن؟

تقرأ هذا الهاشتاج #حاكموا_نادين_القاتلة

نادين قاتلة!

تتردد في عقلها تلك العبارة فتكاد تجن وهي تنقل بصرها ما بين هاتفها وصفحات الفيس بوك، هذا التطبيق الأزرق، وأجندة نادين الخضراء، ومسافات شاسعة تفصلهما، كلٌّ منهما ينتمي لعالم؛ عالم

نادين الأخضر الحقيقي البريء، وهذا العالم الأزرق العبثي القاتل.

«آنسة جودي، ماذا سنفعل؟ ألا نستطيع مسح هذا الفيديو؟».

تكاد ابتسامة ساخرة تعلو شفتيها، وهي تجيبها:

- ليت كل الأمور ببساطة تفكيرك البريء يا نعمة!

- صدقيني، أبو رضوى هو من وافق هذا الرجل، وحين واجهته عرفت أن منحه ألف جنيه ليقنعني أن أتحدث، هو يعرف أنني لن أقبل، فخدعني، وكذب مقابل المال.

- يا نعمة، لا شيء بلا مقابل، الكذب ثمنه أعلى بكثير من الصدق، فكلما كذبت أكثر زادت المكاسب.

تقولها في حسرة، ثم تقف لتقول:

- انتظريني لحظات، سأعود إليكِ بعد أن أغير ملابسي وأستعد.

11

تغادرها جودي لغرفتها، وتبقى هي وحدها في غرفة الصالون الراقية الفاخرة، لا تشغلها تفاصيلها الكثيرة من تحف ونجف وسجاد ثمين، ولم تلتفت لهذا العصير الذي قدمته لها جودي؛ فهي غارقة فيما حدث اليوم، ما سمعته من رضوى، ما رأته في عينيها من وجع وألم وهي تبكي، تبكي لأنها لم تشعر يومًا بوجود أب في حياتها، أب تستند إليه، ويحنو عليها ويهتم بها، كل كلمة نطقت بها رضوى، كانت تهز نعمة، تهدم حائطًا من حوائط هذا البيت الذي كانت تتمسك به من أجلهما، لترى بيتها بعد أن انتهت رضوى من حديثها، وسكبت آلامًا، وهمومًا كتمتها طويلًا، بلا أي جدران، وجدت نفسها، وبعد كل ما تحملت واقفة في الخواء، بلا جدران تأويها، لتدرك حجم الكذبة التي كانت تعيشها..

"الكذب ثمنه أعلى بكثير من الصدق!".

وهي عاشت سنوات عمرها تكذب، تكذب على نفسها، تواسيها، وتسألها الصبر، وتبث في نفسها العزيمة، وقوة التحمل، من أجل طفليها، من أجل الحفاظ على بيت يأويهما، وصورة –مجرد صورة- لأب قد يكون سندًا لهما يومًا ما ولكنها وبعد حديث رضوى، وما فعله بخدعته تلك لها، لن تكذب ثانية، فهي لا تستطيع تحمل ثمن كذبتها تلك، لن تنتظر أن يحدثها عبد الجليل بنفس حديث رضوى، ولن تحتمل أن تراها رضوى دومًا منهزمة وضعيفة وكاذبة.. هي لن تحتمل أكثر من هذا، فليختار ما بين حياته معهم دون كذب أو إيذاء،

أو حياته دونهم كيف يشاء.. ولكنها أبدًا لن تكذب ثانية، ولن تحتمل أن يمر عام أو أثنين ليصدمها عبد الجليل بنفس الحديث، ويلومها على خنوعها، وخضوعها وكذبها.

12

يستعيد منير كل ما رواه له سعيد، منذ ساعة، يحاول أن يتفهم ما يحدث، لمَ يطالب هذا الرجل بأن تذهب أخوات كريم للعيش معه بعد وفاة كريم؟ لمَ لم يحضر عزاء كريم؟ لمَ لم يظهر في حياتهم من قبل رغم تواجده في مصر ولو في فترة إجازات حسب حديث والدة كريم؟

ولمَ لم تتحدث والدة كريم؟ لمَ لم ترفض؟ لمَ ظلت صامتة وهو ينادي على الفتيات ويأمرهن بقسوة بالانصياع له؟ كيف لم تتصدَّ له وتواجهه، حتى حين تدخل بعض المتواجدين من الجيران والمعارف ظلت على صمتها، وحده سعيد الذي حاول إنهاء الموقف قائلًا لهذا الرجل:

«أرى أن تنصرف اليوم، ولنتحدث في هذا الأمر بعد الأربعين، أنت ترى أن الظروف غير مناسبة لأي حديث، الموت له حرمة». فينصرف الرجل ملقيًا نظرة غاضبة لوالدة كريم، ربما انصرف مقتنعًا بحديث سعيد، أو متخوفًا من تصدي سعيد له بهذا الجسد القوي، وكونه وسط جيرانه وأصدقائه، وهو وحده وسطهم لكنه يومًا ما سيكرر زيارته، فهو مصمم على طلبه.

يشعر منير بتلك الندبة التي كانت تؤرق كريم، وكأنها انتقلت إليه ومعها حيرته، ودهشته مما يفعل، والآن يحل الخوف محل كل تلك المشاعر، الخوف على جميلة ويسر ويمنى.

نفس التخُّوف الذي يعيشه سعيد وهو جالس إلى والدة كريم،

يحاول أن يفهم منها، أن يعرف سر صمتها، ليست هذه أم كريم التي عرفها لسنوات، هل كسرها حزنها على كريم؟ هل هو ما ألجم لسانها أمام هذا الرجل؟! لكن هل ستتخلى عن بناتها؟

يغادرها وهو غارقٌ في حيرته ومخاوفه وإحساسه بالضعف، لن يسمح لشيء كهذا أن يحدث، أن يترك جميلة ويسر ويمنى ليقِمن مع عمهم، هذا العم الذي لا يعرفنه، ولم يرينه من قبل، يتصل بمنير ليروي له، مختتمًا حديثه بعبارة حاسمة:

«هذا لن يحدث؟ على جثتي يا منير أن يحدث هذا».

يعرف منير أن سعيد إن نطق بهذه الجملة فهو يعنيها، وهذا ما لا يعرف عواقبه ويخافه.

أن يخوض سعيد وحده، معركة لا يعرف تفاصيلها، كما أنه ليس طرفًا فيها، لا صلة رسمية له بأسرة كريم، ليستطيع التصدى لهذا الرجل، الذي ظهر ليزيد من ألم ووجع الجميع، ولم يكتفِ بما يمرون به.

تتزايد مخاوفه، وقلقه، عليهم جميعًا، وحتى سعيد نفسه.

13

يقف يونس أمامها ليسألها، وهي تجلس على طرف الفراش في حجرة نادين، التي باتت فيها الليلتين السابقتين ممسكة بهاتفها بين يديها.

«سأذهب لأغير ملابسي؛ لنذهب لزيارة نادين وأمينة».

تهز رأسها إيجابًا دون أن ترفع وجهها إليه؛ كانت عيناها تدمعان لما قرأته قبل دقائق على هذه المنصات اللعينة، وكأنها حملةٌ ممنهجة لإدانة نادين، التي لم تقترف ذنبًا واحدًا.

الجميع راحوا يتهمونها بالأنانية، المادية، والطمع، لم تسلم من تتبع حياتها وسيرتها، تحدثوا عن طفولتها، ووفاة والدها، وزواج أمها، هروبها من العيش مع أمها وزوجها لضعف مستواهما المادي؛ لتنتقل لبيت خالتها، حيث الفيلا والسيارة، والنادي، والخادمات، تلك الحياة التي رفضت كريم لأنه لن يستطيع توفيرها لها.

كانت كل كلمة تقرأها أو عبارة تسمعها تحرق أعصابها، ويكاد رأسها أن ينفجر لها.

ما كل هذه الكراهية والحقد والتلفيق؟!

ترقد نادين بين الحياة والموت بينما تقيم تلك المنصات الحمراء والزرقاء محاكمةً لها، وتُوثق الحكم وتطالب بتنفيذه. يطالبون بقتل نادين، يحاكمونها على فترات عاشتها لا يعرف أحد عنها شيئًا.

لا يدركون أنها حين تركت بيت والدتها، كان قلبها يتمزق وهي

تفارقها مضطرة. لم يسأل أحد زوج أمها ولم يسأل عنه. وأين هو منذ وقوع زوجته فاقدة الوعي وحجزها في وحدة العناية القلبية؟ تحجج ببقائه مع طفليه بالمنزل! لم يرو أحد شيئًا عن معاملته الجافة لنادين، عن عدم ترحيبه بوجودها حين كانت تتركها في إجازتها الصيفية لتقضي عدة أيام مع أمها، رغم أنها شقة والدها رحمة الله عليه!

لم يتفهم أحد مشاعر فتاة في الرابعة عشرة من عمرها، تتابعها نظرات لا تفهمها ولا تستريح لها في بيت أمها، فتقرر العودة إلى خالتها بسرعة، دون أن تحدث أمها عن مخاوفها، فقد تكون مجرد أوهام.

لم يسأل أحد: متى انتقلت للعيش معها؟ لم يهتم أحد بتحري حقيقة أنها ترعى نادين قبل حتى أن تتزوج يونس، من قبل أن تسكن بالتجمع وتمتلك السيارة، وتقيم في الفيلا.

لم يتحدث أحد عن معاناة نادين وهي ترى أمها تكافح لتكون أمًّا وأبًا، ومصدر دخل لبيتها وأخويها بعد تقاعد زوجها بلا معاش، وتخاذله عن البحث الجاد عن عمل!

لم يقرأ أحد أجندتها الخضراء ليعرف كم كانت تفكر في أخويها! كما كانت ترى احتياج أسرة كريم لتواجده بجوارهم، وأنه من الأنانية أن تبدأ معه قصة لن تكتمل؛ فطريقهما ليس واحدًا! هي تسعى للسفر، لفرصة جديدة، لحياة أفضل لها ولأخويها وأمها، بينما كريم مرتبط بالتزاماته نحو إخوته، هي قصة لم تكن لتكمل.

كل ما شغلهم في قصتها مع كريم هو رفضها لكريم، الذي جعله يتعلق بها أكثر، لترفضه ثانية، لكنه لم ييأس، وكرر الكرة مرة واثنتين فرفضته، ليقرر الانتحار!

لم يتحدث أحدٌ عن حقها في الاختيار، في القبول، أو الرفض!

هل كل من تفتح بابًا لشاب في حياتها، وتسمح له بمساحة صغيرة فيتعلق بها، لا بد أن ترتضيه شريكًا لحياتها كلها وإلا فهي آثمة، فتاة لعوب، وربما قاتلة!

تلك الأحكام الجاهزة للإطلاق على أي شخص، قبل انتظار نتيجة التحقيقات الرسمية.

نادين بين الحياة والموت والكل يدعو لمحاكمتها، وكريم الذي تسبب في الحادث -بقصد أو دون قصد- والذي قرر الانتحار وأعلن عنه يدعون له بالرحمة والمغفرة!

«ترى، هل كانت ستحتمل هذا كله لو لم تكن فاقدة وعيها؟!».

تهمس بها له وهو يدخل الحجرة ليجلس أمامها على طرف فراش نادين، ويربت يونس على كتفها في حنان:

- هو تقدير الله عز وجل، ألا تعيش كل هذا، ربما لم تكن لتحتمل، هيا بنا".

بينما تغادر الغرفة، ترى هذه اللوحة، الصورة الكبيرة لها، والتي تم تكوينها من صور كثيرة لها بحجم صغير جدًّا، تراها مرتكنة إلى جانب الممر فتسأله:

- ما هذه؟

يحاول أن يبتسم لها، وهو يمسك بيدها ويقبلها في حنان:

- هدية عامنا السابع، كنت قد طلبتها من جاليري أون لاين، وأرسلوا لي صباح يوم الحادثة يخبرونني أنهم قد أعدوا المفاجأة، كانوا سيرسلونها إلى مكتبكِ لأفاجئك بها، ولكن حدث ماحدث، فأرسلتها شيرين إلى هنا.

تتذكر هذه الرسالة، التي جعلت من ساعات يومها الأولى مشوشة؛ مرتبكة، فلم تستمع لنادين صباحًا. تنهدت في أسف ثم غمغمت لنفسها:

- ليتهم ما أرسلوا لك هذه الرسالة هذا اليوم.

رن هاتفه فرد في سرعة:

- الحمد لله، شكرًا، نحن في الطريق.

ينهي المكالمة وهو يقول:

- الحمد لله، لقد أفاقت أمينة، وهم ينتظروننا لتخرج معنا.

14

في طريق سعيد لمنزله، بعد أن اتصل وروى لمنير ما حدث منذ قليل من هذا الرجل الذي يفترض كونه عم كريم، وعلى بعد خطوات من منزله، يجد هذا الرجل ينتظره هناك، يترقب وصوله، ليقترب منه وهو يقول في لهجة حيادية خالية من أي انفعالات.

«قبل أن تتصدى لأي مشكلة، فلتعرف الحقيقة كاملة أولًا».

يختار الرجل هذا الركن البعيد من المقهى الذي اعتاد كريم وسعيد ومنير الجلوس فيه، ويشير إليه قائلًا:

- فلنجلس هناك أفضل.

أدرك سعيد أن خلف هذا الرجل قصة لا يريد أن يسمعها غيره، ربما ولد هذا شيئًا من الاحترام داخله له، وبدد شيئًا من الغضب كان يعتمل في صدره نحوه، فبدأ في الاستماع إليه، محاولًا إزاحة ما تبقى من غضب داخله جانبًا حتى ينتهي من الاستماع إليه.

كان حديث الرجل قصيرًا، موجزًا، بلهجة هي خليط من اللهجة الصعيدية امتزجت ببعض الكلمات الإنجليزية؛ فهو يدرس مادة الأحياء لطلبة الثانوية العامة في محافظته، بعد عودته من الخليج. يروي له الرجل في حديث أجاد انتقاء كلماته، كيلا تخونه تعبيراته، كما تخونه نظراته التي تنطق بكل الضيق والكره وهو يحكي عن تلك السيدة التي عاش سعيد سنوات طويلة يراها رمزًا للحنان والأمومة، ويقدرها جليل التقدير.

روى له عن إحسان تلك لفتاة التي أتت لبلدتهم، مع جدتها هذه المرأة العجوز، والتي استأجرت بيتًا في أطراف القرية، لتربي فيه بعض الطيور، لتعيش من عائد بيع البيض وبعض منتجات الألبان في السوق، وتترك حفيدتها الجميلة وحدها، تلك الفتاة التي سحرت كل من رآها بجمال ملامحها، وجسدها الفائر، تناثرت حولها الكثير من الأقاويل، ومن ضمن تلك الأقاويل، ما يخص نسبها نفسه وليس سلوكها فقط، هل هي بالفعل حفيدة تلك العجوز، وأين والداها، لِم لا يزوهما أي من ذويهم؟ ومن أين تأتي بثمن تلك الملابس الغالية التي ترتديها، حين تذهب مساء لشراء احتياجاتهما من دكاكين البلدة؟

عندما رآها أخوه، فتن بها، صمم على الزواج منها، رغم اعتراض الجميع، وحين هدده والده بحرمانه من الميراث، تظاهر بالرجوع عن رغبته لفترة، ثم فوجئنا به يومًا ما قد غادر البلدة كلها، ولا أثر لإحسان أيضًا.

ليبدأ هو بنفسه رحلة البحث عن أخيه، وتتبع أثره عن طريق طرق كل أبواب المصالح الحكومية التي من الممكن أن يكون قد تقدم لشغل وظيفة بها، حتى وجد اسمه، وعرف عنوانه، ولكن للأسف، كان هذا بعد أن توفاه الله بأزمة قلبية، قلما أن تصيب من هم في عمر الشباب مثله، بعد أن رزقه الله بصبي جميل كوالدته وثلاث بنات يشبهن جدتهن وأبيهن كثيرًا، كانت صدمة للكل، تناسوا معها كل تحفظاتهم على تلك الزيجة، وقرروا رعاية أطفاله، والتكفل بكل مصاريفهم، حتى كان هذا اليوم الذي تصدع معه كل هذا، وانهار، وحين استنجدت به إحسان ليأتي لها في المستشفى القريب من

مدرسة ابنها ليعرف أن هذا الصبي ليس ابن أخيه الراحل؛ حين أخبرته الممرضة بنوع فصيلة دم كريم صدِم حينها -وهو مدرس الأحياء- بحقيقة استحالة أن يكون كريم ابنًا لأخيه الذي توفي منذ عدة شهور والذي يحمل فصيلة دم o، وزوجة أخيه التي تحمل فصيلة دم A بينما فصيلة دم كريم AB.

ظلت تلك الحقيقة تؤرقه حتى قرر أن يصارح بها أرملة أخيه، التي وتحت تهديده لها بفضح أمرها أمام عائلة زوجها اعترفت له بخطيئتها التي لم تكررها؛ كانت لحظة ضعف قبل زواجها منه، لم تصارحه بها، ودعت الله أن يستر عليها، وبعد زواجها من أخيه كانت تصلي كل يوم كي يغفرها لها الله، وتتفانى في رعاية زوجها، وأولادها منه ربما يحتسب الله لها حسن تربيتهم، ويغفر لها، ويستكمل الرجل روايته بلهجة بدأت تلين:

«كنت أستمع إليها وهي ترجوني ألا أفضح ما ستره الله لسنوات، وكنت في حيرة من أمري، فهي سمعة أخي وبناته من بعده، قررت السفر رغم عدم احتياجى لأموال الغربة، لأنني لم أحتمل البقاء. لم أستطع يا بني أن أزور بنات أخي، فأنا لا أطيق رؤيتها ورؤية هذا الطفل الذي يحمل اسم أخي زيفًا وكذبًا، ولم تجرؤ هي أن تطلب ميراثها، وتزج باسم ابن خطيئتها وسط إعلام الوراثة، وقررت الهروب، رغم هذا كنت أرسل لها شهريًّا مصاريف للبنات بعد أن توصلت لعنوانها، وحين عدت زرتُها لأعرض عليها أن تستلم ميراثها لكن بعد أن تستبعد ابنها منه، وتترك لنا البنات لنربيهن وسط عائلتنا، ووعدتها ألا أحدث بناتها أبدًا بما عرفت، لكنها رفضت، رفضت أن

مقصرًا أمام الله سبحانه وتعالى وأمام أخي -رحمه الله عليه- أنا أبدًا لن أطيق أن يبقين معها وحدها دون رجل يكون راعيًا وسندًا لهن، ودون عائلة يتشرفن باسمها عند زواجهن.

يستمع سعيد إليه في ذهول وصدمة، يبقى صامتًا بعد أن ينتهي الرجل من كلامه، يستعيد كل ما حدث لكريم منذ شهور، ومنشوره عن الزيف والكذب، وانتحاره؛ ليرفع بصره إليه ويسأله سؤالًا واحدًا:

هل عرف كريم كل هذا؟!

ليومئ الرجل برأسه إيجابًا في أسف:

- منذ شهور، التقيته مصادفة وأنا أزور مسجد السيدة زينب، وحاولت التهرب منه، ولكنه ألح في معرفة كل شيء.

منذ شهور. يتمتم بها سعيد، يشعر بقلبه يئن وهو يتخيل كريم يستمع لهذا الحديث الصادم القاسي، وهذا الزلزال الذي هز كيانه، وهذا الشرخ الذي أحدثته كلمات الرجل داخله، ومئات الشروخ في صورة والدته التي كانت هي من يهون لأجلها كل شيء، ويتذكر كلمات جميلة عن تغير معاملة كريم لوالدته، وتجنبه الحديث معها أو حتى النظر إليها.

يغادره الرجل لكن لا تغادره صدمته، وحسرته، وإحساس الانكسار الذي تركه لكريم، فهو بلا شك ما دفع كريم لما فعل، ربما احتمل

كريم تداعيات قصته مع نادين فهي في النهاية فتاة تعوضها ألف فتاة، بينما أمه هي أم واحدة لا يعوضها شيء.

تدمع عيناه وهو يبكي صديقه، يبكي ألمه الذي عاناه وحده، يلومه لأنه لم يشركه ألمه وحزنه لكنه يسامحه ويتفهم لمَ لم يروِ له ما عرف، فكيف سيحدثه بهذا الحديث؟ وكيف احتمله هو؟ ليدرك أن كريم لم يحتمل في عدة شهور أن ينهار عالمه الذي كان يبحث عنه، وعالمه الذي عاشه سنوات عمره كله، أن يكتشف أنه عاش أكذوبة كبيرة، تُرى كيف كان ينظر لوالدته بتلك الشهور؟

ترى هل صارحها؟ هل دافعت عن نفسها فسامحها؟ أم لم يسامحها؟

أم أبى أن تعرف أن صورتها الوقورة أمام ابنها قد تلاشت وضاعت للأبد؟

«آه يا كريم، فليرحمك الله ويغفر لك!».

يتمتم بها هو يمسح دموعًا انسالت من عينيه دون أن يدري، وهو في طريقه لبيته.

15

تقف نعمة أمام جودي، خلف تلك الدائرة المضيئة التي جلست نادين أمامها، بعد أن ألصقت بها هاتفها المحمول لتتحدث لتلك الدائرة وهي تحاول أن تبدو متماسكة هادئة، رغم هذا القلق والحزن والغضب في عينيها.

«مساء الخير متابعين (هي كده)، أنا جودي الجمال، والتي دومًا تتحدث إليكم بكل صدق، أو فلنقل ستعدكم أنها لن تتحدث إلا بكل الصدق. أنا جودي الجمال، تعرفونني منذ عامين أو أقل، تحدثت كثيرًا عن نجوم وفنانين وكتاب، وعن العطور والملابس، عن قضايا كثيرة شغلتكم، وشغلت الرأي العام. ربما كنت صادقة، أو حاولت تحري الصدق، لكنني اليوم معكم بكل الصدق لأنني أتحدث عن صديقتي. انتظروني لتعرفوا من هي نادين.

سأروي لكم عنها، وعن حياتها، وعن كريم، وعن كل ما حدث.

ولكني لن أجيب أسئلتكم، أنتم الذين ستجيبونها بعد أن أحكي لكم، بل ربما أنا من سأسأل حينها كل من أساء إليها: ما ذنبها؟ ما ذنب نادين؟

تمسك بيدها الأجندة الخضراء، ثم تقول:

وكما عودتكم بالأدلة والدلائل، حتى ألتقيكم بعد أن أطمئن على نادين بالمشفى، لا أسألكم سوى الدعاء لها وأرجوكم فعلوا هاشتاج (#ادعوا_لنادين) وأنا على استعداد للتواصل مع كل روائي من

متابعي، أو ممن يشاهدون هذا الفيديو، لنكتب معًا قصة نادين، ولنُوثق قصتها معًا؛ لتكون آخر نادين تسقط في اللون الأزرق، وكيلا نستيقظ كل يوم على خبر حادثة مشابهة، أو جريمة بشعة ضد نادين ثانية وثالثة.

على خير أترككم، لنلتقي في العاشرة وبث مباشر و(هي كده) لكن هذه المرة أنا من سأسأل وأنتم من ستجيبون».

تدمع عينا نعمة وهي تقترب من جودي، لتحتضنها قائلة:

- إن شاء الله ربنا يستجيب وترجع لنا بألف سلامة، الله يكرمك يا آنسة جودي، الله يباركلك.

16

تقف الأم أمام قبره باكية، يحترق قلبها وهي تعرف أن هناك تحت هذا التراب، يرقد كريم، هي تعرف ولكن لا تصدق، ولا تريد أن تصدق، يقتلها إحساسها بالفقد، لقد بتر جزءٌ منها، جزءٌ حمل معها روحها، وحياتها وعمرها كله الذي ذهب، الذي كانت تنتظره معه، تنتظر أن تراه أبًا وزوجًا، تحلم أن ترعى أطفاله، تحلم به وهو يطوف حول الكعبة إلى جوارها، كما كان دومًا يحدثها «يومًا ما سنزور بيت الله معًا يا أمي، لأشكره على نعمته بكونك أمي». كان يسمعها أحلى الكلمات وأصدَقها، وكان أجمل ما في حياتها رغم أنه كان أكبر ذنوبها.

كان ذنبها الذي ظنت أن الله غفره لها حين أنعم عليها بجميلة، ثم يمنى ويسر، كانت تحسب أن الله تقبل صلواتها، قيامها وصومها، وصدقاتها، وراحت تعاهد نفسها أن تنشئه نشأة صالحة، أن تعلمه دينه، وأن تحثه على الخلق الطيب، وحسن المعاملة، وصلاح النية. كانت تراه عملها الذي تتقرب به لله، ولكن الله استرده كما وهبه لها.

كانت تحسب أن خطيئتها باتت ماضيًا، وأن حاضرها آت لها بالغفران، لكن الغفران لا يزال بعيدًا، لا يزال أمامها الكثير من التكفير عن خطيئتها، وعن ذنبها؛ هي تتألم، وتتحسر على فراق كريم الذي كان أجمل ما في عمرها.

يقف سعيد إلى جوراها صامتًا، يشعر بها، يحس تلك النار في صدرها، يكاد يسمع حديثها لنفسها، هذا الذي يملؤه الندم والحسرة وهي تقف أمام قبر ابنها، يشعر بمعاناتها التي تعيشها في صمت

ووحدة، وخوف وفزع؛ فلقد رحل كريم إلى خالقه، ولا حيلة أمامها إلا الصبر والاحتساب لكن، ماذا عن بناتها؟

هل ستقبل رحيلهن كيلا يعرفن شيئًا عن ذنبها؟ هل ستختار الستر بدلًا منهن؟

أم تختارهن وتدفع ثمن هذا الاختيار غاليًا من احترامهن لها؟

ترى، لو فعلت وصارحتهن كي يبقين معها، هل سيغفرن لها؟ أم ستقوم قيامتها على أيديهن وهن يحاسبنها ويفعلن ما لم يحتمل كريم فعله؟

«رحمة الله عليك يا كريم، كنت كريم النفس والخلق، فليغفر الله لك ويعفو عنك يا صديقي!».

يقترب منها، يمسك بيدها، ويلثمها كما كان يفعل كريم دومًا، ويقول لها:

- لا تخافي يا أمي، أنا بمشيئة الله إلى جوارك.

ترفع عينين امتلأتا بالدموع له، وتتشبث بكفه وهي تسأله في رجاء:

- ترى، هل مات راضيًا عني يا سعيد؟ كان دومًا يسألني "هل أنت راضية عني يا أمي؟".

- هو قطعة منكِ يا أمي، فهل يغضب الجزء من الكل؟! فلندعُ الله أن يغفر له ويرحمه.

17

ثلاث سيدات وفتاة، يقفن بالقرب منها، ينظرن إليها في حب وحنان.

تنظر إليها أمها وهي تعدها ألا تتركها ثانية، ألا تفارقها، وأن تختار هذه المرة بإرادتها ما ترتاح له، وستختار ما يسعدهم جميعًا، هي ونادين وأخواها.

تطيل غادة النظر إليها، تذكر حين رأتها أول مرة، وهي وليدة تصرخ ويؤذن والدها في أذنيها، فتهدأ وتستكين، فيقربها من خالتها ذات الستة عشر عامًا، والتي كانت إحدى طالباته، فتلمس وجنتيها بخوف، فيبتسم لها زوج أختها، ويسألها: ماذا ستسمينها يا غادة؟

فتبتسم في خوف وهي تتلمس يدها الضئيلة الرطبة، وتقول:

«نادين، ما رأيك؟».

ينظر الأب لوليدته في فرح وحبور، ويتمتم:

«نادين، اسم جميل يا غادة، يعني الأمل والرجاء في أكثر من لغة، وهي فعلًا أملي ورجائي من الدنيا».

تنسال دموعها، وهي تراها أمام عينيها فاقدة الوعي، تتمنى لو تستطيع لمس وجنتيها ولثم يدها، كما فعلت في أول لحظاتها في الحياة، تتمنى لو تستطيع منحها الحياة كما منحتها اسمها حين جاءت لتلك الحياة.

تقترب جودي من السرير، تتمنى لو تستطيع أن تحتضنها وتبكي، وتعتذر لها، وتهمس: «حبيبتي، كنتِ دومًا بجواري، وأنا عنكِ غائبة في عالم عبثي، أعدك أن أعود إليك منه، لكن بعد أن أمحو كل كلمة كتبت عنك زيفًا، وكذبًا، وأخرس كل لسان تعرض لاسمك بسوء، فقط عودي إلي، أرجوكِ!».

على الناحية الأخرى، وقفت نعمة، مبتسمة في رضا وفي ثقة، تناجي الله من قلبها:

«تعلم يا رب كم هي جميلة، روحها الجميلة الرحيمة بين يديك، أنت أدرى بها منا، ردها إلينا يارب! وارحمه، أنت أدرى به وأعلم واغفر له».

ثلاث سيدات وفتاة، يتحلقن حولها في رجاء ويقين، تتمتم شفاهن بالدعاء، يتأملن هذا الوجه الجميل، حتى مع تلك الكدمات والسحجات التي تملؤه، وهذا الماسك الأزرق الذي يخفي معظمه، وتبقى هي نادين، في نظرهن الأجمل والأنقى.

تقترب منهن مشرفة التمريض، وتشير إليهن بالخروج، فوقت الزيارة محدود بخمس دقائق. يودعنها بعيون دامعة، وشفاه تبتسم لها، ويستدرن ليغادرن الوحدة بهدوء يليق بالمكان، وصمت يليق بحزنهن من أجل نادين.

بينما هي، على السرير البارد في غرفة حيادية الألوان حتى درجة اللون الأزرق بها درجة باهتة كئيبة، يختلج جفناها وترتعش شفتاها، وتسيل دمعة لامعة بزرقتها، لا تلحظ الممرضة هذا الوميض الأزرق،

وربما لمحته وحسبته انعكاس الضوء على هذا الماسك الأزرق الشفاف، كانت مشغولة بحقن المحلول بجرعة من الدواء.

تومض عينا نادين بوميض أزرق بسيط، يودع تلك الدمعة التي سقطت منها في بطء، تحتل زرقة عينيها النائمتين تحت جفنيها أطياف ما مر بها إلى جوار كريم، آخر ما أبصرته عيناها وآخر ما عاشته قبل السقوط في هذه الغيبوبة.

ها هي تبصر كريم وهو يقود سيارة في موقف لم تعتَده، أن تكون إلى جواره وهو يقود، تحدثه بصوت يملؤه الاهتمام الدافئ:

«جئت لأنني أخاف عليك يا كريم، أخاف عليك مما تفعل، فقد عرفت».

«لا يهم أي شيء، لم يعد شيء يهم سواك أنتِ، هل حقًّا تخافين علي؟».

«نعم أخاف، أخاف أن تسقط وأنت وحدك».

«لكنكِ دومًا معي يا نادين، وستبقين معي».

«ربما كان هناك أمل، لكنك ذهبت بعيدًا جدًّا، وأبدًا لن أكون معك».

ينظر إليها في أسف وأسى وتشرد عيناه بعيدًا:

«حقًّا، لقد سقطت وحدي، سقطت منذ جئت هذا العالم وربما من قبل أن أولد».

تسأله في حيرة:

«أي عالم يا كريم تعني؟!».

ولكنه لا يجيب، بل لا يسمعها ليجيب، كانت عيناه وروحه في عالم آخر بعيد، تنحرف السيارة منه، فتصرخ لتحذره و...

تختلط الصور، وتتلاحق في سرعة ما بين كلمات كريم التي لا تسمعها، وصراخها، وصوت ارتطام قوي، يصمت بعده كل شيء.

تسكن شفتاها، ويهدأ جفناها، وتغادرها أطياف هذه اللحظات، لتعود لغيبوبتها من جديد، ويخفت وميض عينيها الأزرق.

هدى عبد الحليم أحمد

القاهرة

14 يونيو 2023